دول العرب وعظماء الإسلام



أحمد شوقي

دُوَلُ العَـرب وعُظَماء الإسلامِ

دُوَلُ العَرب وعُظَماء الإسلامِ

تأليف
أمير الشعراء أحمد شوقي



دُوَلُ العَــرب وعُظَمَاء الإسلامِ

أمير الشعراء أحمد شوقي

رقم إيداع ٢٠١٢ / ١٥٢٧٦
تدمك: ٧ ٠١ ٦٤١٦ ٩٧٧ ٩٧٨

كلمات عربية للترجمة والنشر

ص.ب. ٥٠، مدينة نصر ١١٧٦٨، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٢٧٢٧٤٣١ ٢٠٢ + **فاكس:** ٢٢٧٠٦٣٥١ ٢٠٢ +
البريد الإلكتروني: kalimat@kalimat.org
الموقع الإلكتروني: http://www.kalimat.org

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه دُرّة في تاج الأدب، وغُرّة في جبين القريض. نظَم أمير الشِّعر عِقْدها. وصاغ معناها ولفظها. وهو يُعاني ألم النفي. ويتجرّع غُصص النوَى. إبّان الحرب العالمية الكبرى. بين رُبوع الأندلُس. التي عمَّر الإسلام فيها ثمّ دَرَس. ونما وترعرع وأزهر. ثم ذَوَى وأقفَر.

وليس ثمّة مواقع أشحذ للذهن وأنْضَى للخيال. من مثل تلك المواقع والمشاهد. التي أوْحت إلى شوقي بك. رحمة الله عليه. أن ينظم هذه الأرجوزة الخالدة. في «دول العرب. وعظماء الإسلام». فلا غرْوَ إذا جاءَت في بابها آية. وأوفت في بلاغتها على الغاية. وكانت جدّ حقيقة أن تتجلَّى بمظهرها الرائع. في سِفْرٍ مستقلّ. وأن تحظى من العناية بضبطها. وإتقان طبعها وتصحيحها. بما يكفل الإقبال عليها والانتفاع بها. إن شاء الله تعالى.

محمود خاطر

٥ مارس سنة ١٩٣٣

مقدمة

الحمد لله القديم الباقي   ذي العرش والسَّبعِ العُلا الطِّباق

الملِكِ المنفردِ الجبّار   الدائمِ الجلالِ والإكبار

وارثِ كلِّ مالكٍ وما مَلَكْ   ومُهلك الحيِّ ومُحيي مَن هلَك

منزِّلِ الذِّكر بخير الألسنِ   مشتملا على البيان الأحسنِ

وأوحى إلى رسوله ما أوْحى   من كلِّ غرّاءَ تُضيء اللوْحا

وقصّ أنباء القرون في السُّوَرْ   مَواثِلَ الحسن كأمثال الصُّوَرْ

وأفضلُ الصلاة والسلامِ   على أجَلِّ رسُلِ السلام

من بلغتْ أُمته به الأربْ   ورفعتْ همتُه ذكرَ العربْ

صلَّى عليه الله في سمائهِ   وعرشهِ السابحِ في أسمائه

وجعل الجنةَ من رِحابهِ   وزفَّها لمحسِنِي أصحابهِ

خلائفِ الحقِ أئمة الهدى   الرافعين بَعده ما مَهّدا

الفاتحين بالقنا للحقِّ   المنقذين من قيود الرقِّ

وجعل الخُلْدَ نظامَ الآلِ   ومن تلا الوُسطى من اللآلي

بني عليٍّ وبني العباس   زواخرِ الجودِ، أسودِ الباس

الأكرمين نسبًا مُطهَّرا   الأرفعين حسَبًا ومظهرا

وبعد، فاسمعْ يا بُنيّ وافهم   لا تأخذِ الأمور بالتوهّمِ

لما رمى الله بهذي الحربِ   على بني الشرق وأهل الغربِ[1]

لحكمةٍ يعلمُها تعالى   يملأ من أسرارها الأفعالا

يُـبـرزهـا غـدًا مـن الـخِـبـاءِ	إن غـدًا يـأتـيـك بـالانـبـاءِ
تـحـركـت سـواكـنُ الأقـدارِ	واطَّـردت عـوامـلُ الأكـدارِ
وحـكـمَ الـلـه بـهـجـرةِ الـوطـنْ	وطالما ابتلَي بها أهلَ الفِطَنْ
فكنتُ أستعدِي على الهمومِ	بـنـاتِ فـكـرٍ لـيـس بـالـمـلـمـومِ
أسـتـدفِـع الـفـراغ والـعَـطـالـهْ	وبـطـلٌ مـن يـقـتـلُ الـبَـطـالـهْ
حـتـى أراد الـلـه أن نـظـمـتُ	من سِيَرِ الرجال ما استعظمتُ
عِلمًا بما تبعثُ في الأحداثِ	جـلائـلُ الأعـمـال والأحـداث
إن الـصـبـيّ مـا تُـغـذِّيـه اغـتـذى	فأكثرْ عليه في المثال المحتَذَى
واخترتُ بحرًا واسعًا من الرَّجَزْ	قد زعموه مركبًا لمن عجَزْ
الرَّجَزْ يروْن رأيًا وأرى خلافَهْ	الـكـأسُ لا تُـقـوِّمُ الـسُّـلافَـةْ
وقـيـمـةُ الـلـؤلـؤ فـي الـنّـحـورِ	بـنـفـسـه ولـيـس بـالـبـحـور
شـعـرٌ لـزِمـتُ فـيـه مـا لا يَـلـزمُ	وتـركُـه ألـيـقُ بـي وأحـزمُ
والحسنُ ما لم يكن في الكلام	عـرّضـك الـتـحـسـيـنُ لـلـمـلام
جاريتُ بالصّلدِ النّميرَ الجاري	قد يخرجُ العذبُ من الأحجار
دعا التحدّي خاطري فلبَّى	يـحـذو مِـثـالَ الـسّـلَـفِ الألِـبّـا
وما أيَستُ من كريمٍ يُغضى	ولا أمـنـت حـاسـدًا ذا بُـغـضِ
وربـمـا صُـغـتُ مـن الأمـثـالِ	ما جاوز الجُرأةَ من أمثالي
لـيـجدَ الـنـاشـئُ فـي الـجـديـدِ	من لذةٍ ما ليس في الترديدِ
فإن تجد عيبًا فكن عينَ الرضى	أو مُـرّ مـرَّ الـكـرمـاءِ مُـعـرِضـا

هوامش

(١) الحرب العالمية.

لغَةُ العرب

تبارك الرحمنُ ذو الإحسان ... مميِّزُ الإنسانَ باللسانِ
لولاه لم ينهضْ بسائر النِّعَمْ ... ولا عدا في الأرض سائمَ النِّعَمْ
فهو أداةُ العلم والبيانِ ... وهيكلُ الحكمة والأديانِ
ومفجَرُ الفكر والاختراعِ ... ومُستَقَى اللَّهاة[1] واليراعِ
وصَدَفُ المنظومِ والمنثورِ ... ومُصحَفُ المعلوم والمأثورِ
ومُسكةُ العُمرانِ بين الناسِ ... على العصور وعلى الاجناسِ
رُبَّ لسانٍ جمع الأقواما ... وكان كالجنس لهم قِواما
واستمسكتْ واعتصمتْ به الفِطَنْ ... كعُروَةِ المِلَّةِ أو حبلِ الوطنْ
ورب شعبٍ نال مجدًا باللغهْ ... لم يبلغِ الأقوامُ فيه مبلَغهْ
كانت له في ظلِّها حضارهْ ... رفَّتْ نعيما وجرتْ نضاره
سالت على الأجيال من ضياء ... وأترعتْ قرائحَ الأحياءِ
وكلُّ حُسنٍ كامنٍ أو بادِ ... أودعه الله اللسانَ البادي
هذَّبه العَرضُ على الأذواقِ ... فيما يُقيمُ القومُ من أسواق
على عُكاظَ[2] تتبارى الْجِنَّهْ ... وفوق ذي[3] المجاز والمجنّهْ
ويخطبُ الكُهّانُ في المواسِم ... سجْعَ الْحَمام في الرُّبا النواسِم
فتأخذُ القبائلُ البيانا ... أخذَك من مَعدِنه العِقيانا
مُهذَّبًا مُنقَّحًا مُنقَّى ... مُلقَّنًا من نفسه مُلَقَّى
في شِرعةِ القول هو النَّميرُ[4] ... وهو على عيونه الأميرُ

من لفظِ إسماعيلَ فيه حُسْنُ ... تعشَّقتْه في الرسول اللُّسْنُ
بـه تـحـلَّـى وبـه تـبـاهـى ... وبَزَّ في الفصاحة الأشباها
ولـم يـزلْ تـاجَـهـمُ الـكـلامُ ... والأُمَـراءَ الـصَّـاغـةُ الأعـلامُ
مُـجمَّلين بالـلسان الأبْيَنِ ... بـمـثـلِـه يـونـانُ لـم تَـزَيَّـنِ
حتى حباه الله بالجزيلِ ... واختاره للوحي والتنزيلِ
شـريـعـةٌ فـجّـرهـا بـحـرانِ ... بالعلم والحكمة يزخَرانِ
طامٍ من الوحِي فُراتُ المشرعِ ... في زاخرٍ من الحديث مُترَعِ
فاضا على الصِّيدِ مُلوكِ البيدِ ... بَـنـى زُهـيـرٍ وبـنـي لَـبـيـدِ
فـأوردا الـقـرائـحَ الـقَـراحـا ... بل وَجدوا ماءً فكانا الراحا
فلا تسلْ عن نهضةِ العقولِ ... وكثرة المعقول والمنقول
وما أطال الدين من بُنيانِ ... للعلم في الدنيا وللبيان
ظلَّتْ تُعينُ المُصلحينَ الضادُ ... وظل للعلم بها اعتضادُ
حتى استقلَّتْ دَولة الرشيدِ ... ونـهـضـتْ بـركـنـهـا الـمَـشـيـدِ
تُـعـيـرهـا فـارسُ والـيـونـانُ ... كما تَهادى الزهَرَ الجِنانُ
وكـلُّ وَردٍ رائـعٍ غـريـب ... في أرض جُورٍ ليس بالغريبِ
ما أخذتْ غيرَ صَفيِّ الرُّوحِ ... كاللطيفِ من روحٍ سرَى لروحِ
ترى الدخيل بالأصيل أشكلا ... لم يُفسِدِ القومُ عليه الهكيلا
ما وسِع العلمَ والاختراعا ... أرحب منها في اللُّغى ذراعا
تـوطَّـنـتْ مُـخـتـلِـفَ الـبـلادِ ... واحـدةَ الـمَـغْـرِسِ والـمـيـلادِ
كالشمس، بنتُ الفلَك المُدارِ ... وكم على الأرَض لها من دارِ
الأرضُ شتَّى والبيانُ مؤتلفْ ... كالراح دارتْ في إناءٍ مختلِفْ
اغـتـرفَ الـولـيـد مـن جـريـرِ ... والـمـتـنـبِّـي قـائـد الـضـريـر[٥]
وحثَّ في الشرق النواسِيُّ القدحْ ... وفي رُبا الغرب الخفاجيُّ صَدَحْ[٦]
فـي كـل غَـنَّـاءَ هَـزازٌ شـادِ ... وكـلُّ ظـلٍّ مـوضِـع الإنـشـادِ
هـذا لـسـانُ الـقـوم يـا بُـنـيّـا ... عـلـى أسـاسٍ ثـابـتٍ مَـبـنـيّـا
أوديةٌ تُنضى[٧] الخيالَ فُسحهْ ... جَرتْ عليها للجَمال مَسْحهْ
تـنـزلُـهـا أوانـسُ الـمـعـانـي ... بين مَعينِ اللفظ والمعانِ[٨]

لسانُك الأولْ في الكّتَّابِ ولُغةُ الصَّبْوَة والعتابِ
فخُضْ عُبابَ فقهِهِ وسِرِّهِ وغُصْ على صحيحه وحُرِّه
لا تَرْضَ منه مَبلغَ الرِّعاعِ وحِصَّةَ الأعمَى من الشُعاعِ
واقرأْ علومَ السّلَفِ الأعلامِ فإنها مَعالِمُ الكلامِ
رُبّ قديمٍ كشُعاعِ الشمسِ ابن غدٍ واليومِ وابن أمس
وخلِّ ماً زَيّفَتِ الليالي وما نفتْ صيارفُ[9] الأجيالِ
ولا تضَعْ من الجديد كلِّه يَفُتْك وضعُ الشيء في مَحلهِ
ربّ جديدٍ عنده المُعوَّلُ وربَّ كنزٍ لم يُثْره الأولُ
إن طريقَ العقل لا يُسَدُّ ومَذهبُ الأفكار لا يُحدُّ
بين الجديدِ والجديدِ مَيّلِ لا تتَّبعْ طريقةَ الشُّمَيِّلِ[10]
لا تخلِطِ الأعجامَ بالأعرابِ تَحجِل — وقاك الله — كالغُرابِ!
وكلُّ ما لم يْرمَ عن قوسِ العربْ فليس في نبعٍ لهم ولا غَرَبْ[11]
فاجرِ على محاسنِ اللسانِ تُجَل في موطنِ الإحسانِ
وامشِ بآدابِ الكتاب تهتدِ وقِفْ بأبواب الحديث واجتدِ
هما هما القالبُ فيه يُفرَغُ ومَعدِن الحسْنِ الذي لا يفرَغُ

هوامش

(١) اللسان.

(٢) متسوق للعرب بصحراء بين نخله والطائف كانت تقوم هلال ذي القعدة وتستمر عشرين يوما، وقيل شهرا، تجتمع فيها قبائل العرب فيتناشدون ويتفاخرون ويتبايعون.

(٣) سوقان للعرب من طراز عكاظ.

(٤) الماء الصافي.

(٥) إشارة إلى أبي العلاء.

(٦) ابن خفاجه الأندلسي.

(٧) تسيله.

(٨) المعان: المباءة والمنزل.

(٩) ما رفض النقاد من الأجيال.

(١٠) كاتب مفكر وطيب كبير كان يعيش في الجيل الغابر وكان له مذهب في التجديد يبالغ فيه.

(١١) شجر يقال له سهم غرب كما يقال سهم نبع وهو شجر أيضا تتخذ منه السهام.

التاريخ

مَن سخَّر الصخرَ الأصمَّ للقلمْ — حتى جرى نورًا عليه في الظُّلَمْ؟
يُضيءُ أثناءَ الصفا وطورا — يَنجُدُ كهفًا بالسَّنى وغوْرا[1]
لكل شيءٍ عُنصُرٌ ومَنْحِتُ — وما أبو الأقلام إلا المِنحتُ[2]
كم دُمْيةٍ مما جلا مُخلقةْ — مُغنيةٍ ما أغنتِ المُعلَّقةْ
قديمةٌ تُعرِّفُ الحديثا — حادثةً في الدهر أو حديثا
قد نشأ التاريخ في حِجْر الحجرْ — وشبّ ما بين الكهوف والحُجَرْ
أليس في الصخر وفي الأديمِ — جُلُّ حديثِ العالمَ القديمِ؟
ويا سقي بَرْدِيَّ[3] مصرٍ ساقِ — يُمرِعُه من عَذْبٍ لساقِ
ولا يزل رهينةَ الخزائنِ — من كرم ضنينة المدائنِ
يُفدَى وإن جفّ بليِّن السّرقْ[4] — ما آيةُ الخزّ كآيةِ الورقْ
ساق إلينا الثمرَ العُجابا — وأنجبتْ أوراقُه إنجابا
لا كالرياحينِ ولا البقولِ — لكن تبنّى ثمرَ العقول
سبحانَه قصّ حديثَ آدمِ — على تنائي العهد والتقادُم
ورفع التاريخ أعلى مَنزِلةْ — بنصِّه في كُتبهِ المُنزّلةْ
بين الأناجيل عَلَتْ أُصولُهُ — وفي الحواميم[5] غَلَتْ فصولُهُ
ألم يكُ التاريخُ ظِلَّ العالَمِ — وأقدمَ الأعلام والعالِم؟
توهَّمَ الخُلْدَ به الأوائلُ — وظن أنْ نال البقاءَ الزائلُ
وطُلِبَ الصِّيتُ به قديما — والذكْرُ فوق الأرض مُستديما

والـنـفـسُ تـرجـو هِـمَّـةَ الـخـلـودِ	فـي الـعـلـم والـبُـنـيـان والـمـولـدِ
تَـوهَّـمُ الـحـيـاةَ بـعـد مـوتِ	وتـزعـمُ الـوجـدان بـعـد فَـوتِ
ضـاقـتْ عـلـى الـنـوابـغ الآجـالُ	فـكـان فـي الـذكْـر لـهـم مَـجـالُ
فـي كل ذي روحٍ هوى الحياةِ	أودعــه مُــصــرِّفُ الآيــات
فكُنْ إذا أحببتَها فخْمَ الهوى	لا تـكُ والـشـاةَ عـلـى حـدٍّ سَـوا
انـظُـرْ إلـى الآبـاءِ كـيـف هـامـوا	بـالـخُـلْـدِ واحـتـالـت لـه الأفـهـامُ
رمسيسُ وهُو في البِناءِ من هُوَا	تعشَّقَ الذكرَ فغالى في الهوى
مـا زال حـتـى غَـصـبَ الآثـارا	عـلـى الـمـلـوك قـبـلَـه اسـتـئـثـارا
أخَّـرَ فـي عـصـورهـا وقـدّمَـا	وانـتـحَـلَ الـمُـرقَّـعَ الـمُـهـدَّمـا
يَـسـرِقُ آثـارَ بـنـي أبـيـه	ومـا لِـمـا شَـيّـدَ مـن شـبـيـهِ
مَن دَرَسَ التاريخَ أو مَن دَرّسَهْ	يمضي الزمانُ وهما في المدرسةْ
لا يـبـلـغـان فـي الـكـتـاب غـايـهْ	ولا الـكـتـابُ بـالِـغ الـنـهـايـه
ذاك كـتـابُ الـنـاس والأيـامِ	مـن آدمَ الْـجَـدِّ إلـى الـقـيـامِ
تـأنَّـقَ الـدهـرُ بـه مـا شـاءَ	وأتـقـن الـتـألـيـفَ والإنـشـاءَ
أنـفـقَ فـيـه زمـنَ الـشـبـاب	ومـا أتـمَّ فـيـه غـيـرَ بـاب
يـكـبُـرُ أن يَـطـويَـه الـسّـجِـلُّ	وعـن نـوائـب الـبِـلـي يـجِـلُّ
عال على كف المُغيرِ الماحي	لـو مـشـتْ عـلـيـه بـالـرمـاحِ
مـسـتـهـزئٌ بـالـغـاشـمِ الـبـلـيـدِ	تـهـازؤَ الـمـصـحَـفِ بـالـولـيـدِ[٦]
لا يمّحى من الجميل ما رسَمْ	ولا يزول في القبيح ما وَسَمْ
فـإن وجـدتَ خـاطـرًا مُـطـالـبـا	ونـازعًـا مـن الـطـبـاع غـالِـبـا
فقِفْ على آثار أعيان الزمنْ	واغشَ الطُّلولَ وتنقَّلْ في الدِّمَنْ
وعـالِـجِ الـنـجْـوى والأدّكـارا	يُـهـيـئـآ لـلـحـكـمـةِ الأفـكـارا
فالرّوحُ في التاريخ الاعتبارُ	وحـكـمـةٌ تُـودَعُـهـا الأخـبـارُ
وخُـذْه مـن مُـحـقِّـقٍ أمـيـنِ	ومَـيِّـزِ الـغَـثَّ مـن الـثـمـيـنِ
إيـاكَ والـمُـؤرِّخَ الـمِـقَـصَّـا	ما كلُّ مَن قصّ فقد تقصّى
وقـدِّمِ الـمُـعـبِّـرَ الـمُـبـيـنـا	تـجـدْه فـي مَـظـلِـمـة مـبـيـنـا
وتَـلْـقَ مـنـه جَـوْهَـرًا أو صـائـغـا	وتُسْقَ في الفضةِ عَذْبًا سائغا

فمن كريم الشعر والبيانِ   عينان في التاريخ يجريان
لولا أوابِدٌ[٧] من البوادي   مشتْ على أيامِها العوادي
الشعرُ بعد موتها أحياها   في شعرِها تمثّلَتْ دنياها
وإن ملكتَ مرةً أن تصنَعهْ   فاخشَ بأن تخلُقَهُ وتصنَعَه
وهبْه لم يأْمَنْ عواديَ العبَثْ   أليس كالكير[٨] الذي يَنفي الخَبَثْ
ما أقبح الكِذْبَ على الرُّفاتِ   والكِذبُ من أراذِلِ الصفاتِ
من غشّ نفسًا جَمَع المظالما   ماذا ترى فيمن يغشُّ عالما؟

هوامش

(١) الصفا الحجر، وكل هذا إشارة إلى النقوش والكتابات في الكهوف والأحجار.

(٢) المنحت المعدن من منحت الحجارة وهو موضع نحتها والمراد النقوش على الحجارة والآثار.

(٣) البردي نبات كالقصب كان قدماء المصريين يستخدمون قشرة للكتابة.

(٤) الحرير.

(٥) سور القرآن.

(٦) إشارة إلى قصة الوليد مع المصحف.

(٧) الأوابد الغرائب.

(٨) زق ينفخ فيه الحداد.

الوطن

وجانب من الثرى يُدعَى الوطنْ   مِلْءُ العيونِ والقلوب والفِطنْ

مُزَيّنٌ للآدميّ العاقلِ   وكلٍّ سهْليٍّ[١] وكل عاقلِ[٢]

والأسدِ الخادرِ في البوادي   والنّملِ فيما اتخذتْ من وادِ

ونَزْعة الناس إلى أوطانها   كنَزْعةِ الإبْل إلى أعطانِها

يُحبّه الأقوام منذ كانا   ولا يُساوون به مكانا

إذا أتاهم أَيْسَرُ النّداءِ   مِنه جَرَوْا لغاية الفداءِ

أو ذُكِر الحنينُ والحِفاظُ   لم تجر إلا باسمه الألفاظُ

كم من دماءٍ سِلنَ حولَ حوضِهِ   ومن عُروضٍ زُلنَ دون عِرضهِ

وفي سبيله قضى رجالُ   من أن يُلاقَوْا تستحي الآجالُ

وباسمه كم تاجَرَ الفُسّاق   وانقادتِ الناس لهم فساقوا

وتَكرُمُ الدارُ على الحرِّ الأَبي   كرامةَ الأمّ عليه والأبِ

وليس من عِرضٍ ولا حريمِ   تحميه فوق الوطن الكريمِ

الجسمُ من تُربته ومائهِ   والرُّوحُ رَوْحٌ هبّ من سمائهِ

وكلُّ ما حولك من هِباتِهِ   وما وَلدْت فهو من نباتِهِ

أمانةُ الأوّلِ عند الآخر   خِزانةُ الآثار والمفاخر

وحوضُ ما جفّ من الشبابِ   وقَصَفَ الدهرُ من الأحباب

ورَسْمُ ما بان من الليالي   وأثرُ الأيام في الخيالِ

ومُخلِقُ الشبانِ والمشيبِ   ومُلبسُ البالي على القشيبِ

وفـي ثـراه الـبـلـقَـعِ الـيَـبـابِ — ما شِئتَ من أهلٍ ومن أحبابِ
وَفَـى لـه مـن لـيس بـالـوفِّـي — وهـشّ مـن لـم يـكُ بـالْـحَـفِـيِّ
والـمُـلْـكُ كـالـنـاسِ لـه أوطـانُ — يَـنـظِـمُـهـا لـلأمـم الـسـلـطـانُ
يَدينُ جنسٌ سائرَ الأجناسِ — ويَـدّعـي نـاسٌ وَلاءَ نـاسِ
يـأتـمـرُ الـضـعـيـفُ بـالـقـويّ — ويـأمُـرُ الـراشـدُ فـي الـغَـوِيّ
فـي دُولـةٍ مـمـدودةِ الـطِّـرافِ — مـشـدودةِ الـبُـهـرةِ[٣] بـالأطـرافِ
بلَّـغـهـا الـعـنـفُ ذُرا الإقـبـالِ — كالريح تَبنى الماء كالجبالِ
هبّتْ ضُحًى عليه فاشمخرَّا — وركـدت عـشـيّـةً فـخـرَّا
روما التي راع اتّساقُ مُلْكها — وَهَتْ يواقيت القرى مِن سلْكِها
أمست هوتْ عن عرشها المُعظَّمِ — وأصبح التاجُ كأن لم يُنظَمِ
لـم تَـتَّـقِ الـلـهَ ولا الأيـامَـا — فـي أُمـمٍ سَـبَـتـهـمـو أيـامَـي
بـنـو الـزمـان، فـوقـهـم بـنُـوهـا — تـكـبّـرًا وسُـنّـة سَـنُّـوهـا
ومـا لـهـم مـن وطـن سـواهـا — عـلـى تـدانـي الـدار أو نـواهـا
كـثـيـرُ أوطـانٍ بـلا الـتـئـامِ — وأُمَـمٌ شـتـى بـلا وِئـامِ
وجَـمْـرةٌ فـي كَـبِـد الـمـنـقـادِ — ولاعـجٌ مـن كـامـن الأحـقـادِ
وكـلُّ فـأس وقـعـتْ فـي الـدار — تـنـزل بـالأس والـجـدار
فـحـكَـمَ الـلـه عـلـى الـرومـانِ — وأدركـتْـهـمْ سُـنَّـةُ الـزمـانِ
لِـتـرث الأيـامَ شـبـانُ الأمـمْ — والإرْثُ للشباب حقٌّ من أمَمْ
وأنـجـزَ الـلـه الـنـبـيَّ وعـدهْ — وسـاد قـومُـه الـزمـانَ بـعـده
فورثوا قيصرَ في المشارقِ — وأخذوا الغرب بسيف طارقِ
وأمَّـنـوا الأمـصـار فـاتـحـيـنـا — وعَدَلوا في العالَمينَ حينا
واتـخـذوا كُـل الـقـرى أوطـانـا — وحـاسـنـوا الأهـلـيـن والـقُـطّـانـا
فـحـيـث حَـلَّ الـعـربـيُّ حـيّـا — مـن الـمـلا قـبـيـلـةً وحـيَّـا
وشاطر الأرضَ على التساوي — مـحـاسـنَ الأقـوام والـمـسـاوي
حتى انقضى سلطانُهم وزالا — وفـضـلُـهـم بـاقٍ ولـن يـزَالا
تـغـيّـرت كـدأبـهـا الـبـلادُ — وانـتـقـل الـزِّمـامُ والـمـقـادُ
ودينُهم بين الشعوب دينُهمْ — يعيى على الأيام مَن يَدينهمْ

وذلك اللسانُ باقٍ لم يَزَلْ   يمضي عليه من جلا ومن نَزَلْ
لم يبق منهمو سوى الأصواتِ   وعجَيبٌ تكلُّمُ الأمواتِ

هوامش

(١) ساكن السهل.
(٢) ساكن الجبل كالوعل.
(٣) الوسط.

البيتُ الحرام

دارٌ عليها مِيسَمٌ[١] من القِدمْ ... حُجّت على أول خُفٍّ وقدْم

مَهدُ الهدى في الأولين رُكنُها ... وحسنُه في الآخرين صحنُها

تلك جِباهُ الرُّسْل في ترابها ... وخدُّ إبراهيمَ في مِحرابها

غنيةٌ عما كساها أسعدُ[٢] ... في الدهر وهو بالثناءِ أسعدُ

وكم جلاها في اليماني المُسْبَلِ ... من قَبِلتْ منه ومن لم تَقْبَلِ

لا تلمسن وشْيَها ضريرَا ... رُب عَروسٍ تلعَنُ الحريرا

تواضعتْ بين شِعاب الوادي ... لم تتخذْ تبذّخَ الأطوادِ

لم تُبنَ بالصُّفَّاح والصَّوانِ[٣] ... ولا علتْ تعالِيَ الإيوان

لا يد خُوفو[٤] أرهقت فيها البشرْ ... ولا سليمانُ لها الجنَّ حشرْ

بل صُنْعُ شيخٍ مُقبِلٍ مُزاولِ ... أعينَ بابن يافعٍ مناولِ[٥]

قد رفعاها حجرًا فوق حجرْ ... ووضعا فيها على اليُمن الحجْر[٦]

الله يُوحي والأمينُ يشهدُ ... وتخشعُ الأرضُ ويعلو المعهدُ

حتى تجلتْ قبة الإيمان ... ممدودةً الظل على الزمان

وركنُها كأمِس في أم القرى[٧] ... تُطوَى القباب والقصورُ والقرى

دعائمٌ من خَشيةٍ وتقوى ... على تطاول الزمان تقوى

وما بنى الحقُّ له الثبُوتُ ... وما بنى الباطلُ عنكبوت

تقبّل الله من الحواري[٨] ... واختصّ بالبيت وبالجوارِ

واختار من عباده قبيلا ... للبيت يهدونهمو السبيلا

وأولـوا الإلـه الـكـرمـاءُ عـهـدا النـازلـو البيت العـتيقِ مـهدا
الـراضـعـو زمـزمَ فـي الـهـواجِـرِ وهـي تَـدِرُّ مـن بَـنـانِ هـاجَـرِ[٩]
غُـرّةُ آبـائـهـمُ الـذبـيـحُ[١٠] والأمـهـاتِ جُـرهُـمُ الـصـبـيـحُ[١١]
أبـنـاءُ إسـمـاعـيـلَ حـول بَـكَّـةْ[١٢] تـضـوّعـت مـنـهـم شِـعـابُ مـكـةْ
بـيـتـهـمـوا مـحـبـوكـةٌ مـفـاخـرُه أولُــــه نُــبــوّةٌ وآخـــرُهْ
انـتـشـروا قـبـائـلا عـلـى الـزمـنْ مِـلْءَ الـحِـجـاز والـشـآم والـيَـمَـنْ
بَـدْوٌ بـكـل نَـشـزٍ وقـاعِ وحَـضَـرٌ فـي عـامـر الـبـقـاعِ
تـنـقـلَـتْ فـيـهـم ديـانـاتُ الأوَلْ تـنـقـلَ الأيـام فِـيـهـم والـدُّوَلْ
والـدِّيـن بـيـن الـقـدمـاءِ عَـدْوَى يـقـطـعُ أجـوازَ الـقِـفـار عَـدْوَا
نـارُ الـمَـجـوس وجـدتْ مـجـازا وابـنُ سـنـان[١٣] أنـقـذَ الـحِـجـازا
بـقـيـةٌ تـؤمـنُ بـالـجـلـيـل يـتّـبـعـون مِـلَّـةَ الـخـلـيـلِ
وعُـصـبـةٌ عـلـى هُـدى الأحـبـارِ أهـلُ كـتـابٍ يـعـبـدون الـبـاري
آلُ ابـنِ عِـمـرانَ أو ابـنِ مَـريَـمـا فـمـن بـهـاتـيـك الـشِـعـاب خـيّـمـا؟
وفِـرقـةٌ دَهـريـةٌ جُـحّـادُ عـن كـل ديـنٍ لـهـمـو إلـحـادُ
وآخـرون افـتـتـنـوا بـالـنـار أو سـجـدوا لـلـكـواكـب الـمُـنـارِ
أو ألَّـهـوا مـا نـحـتـوا مـن الـحـجـرْ أو عبدوا ما استنبتوا من الشجرْ
وغـيـرُهـم بـالـحـيـوانِ دانـا وقــدّسَ الأرواحَ والأبــدانـا
كـلٌّ مـن الـحـيـرةِ والـضـلالـةْ يـعـشـو[١٤] إلـى الـقـوة والـجـلالـةْ
قد هجروا الشمسَ إلى الأياةِ[١٥] وجـاوزوا الـمُـحـيـي إلـى الـحـيـاة
وبـلـبـلـت ألـسُـنَـهـمْ أسـمـاءُ فـكـثُـرتْ فـي حُـبِّـهـا الأسـمـاءُ
مكةُ دارُ المُلكِ والبيتُ والملِكْ تُسمى الوفود[١٦] في سُراها تهتلِكْ
واتـقـوا فـي الـحـب والـتـجـلَّـةْ عـلـى اخـتـلاف مـذهـبٍ ومِـلَّـةْ
يجمعُهمْ من كل سهلٍ وجبلْ ضـوابحَ[١٧] الـخيل روازحَ[١٨] الإبل
يَـسْـدِنُ[١٩] سـاداتُـهـمُ قـبـابَـه ويـحـجُـبُ الـصِّـيـدُ الـسُّـراةُ بـابَـه
وهـاشِـمُ الـسُّـحْـبُ سـقـاةُ الـوفـد الـغـامـرون غـيـرهـم بـالـرّفـد[٢٠]
دارٌ لأقــوامٍ مُــجــاوريــنــا ومَـنـسَـكٌ[٢١] طُـهْـرٌ لآخـريـنـا
ومَـوسِـمُ الـسَّـوْمِ[٢٢] والاكـتـسـابِ ونَـدْوَةُ الـنـداءِ بـالأنـسـابِ

ومِنْبَرٌ حَفَّتْ به القبائل إيادُ[٢٣] من أعواده ووائلُ
قِسْ في النهي قُسًّا[٢٤] إلى سُقراطِ يتّزن القيراطُ بالقيراطِ
كان مَسيحيًا وكان فاضلا وكان عن حقيقةٍ مُناضلا
مُحمدٌ من ناقلي عِظاتِهْ والصاحب الصِدِّيقُ من رُواتِهْ
وحَرَمُ الآداب والاخلاقِ وكيف لا وهو حمَى الخلاقِ
لا يُنطَقُ الهُجْرُ به والإفكُ ولا يَحلُّ للدماء سَفْكُ
ومَعبدٌ مُشتركٌ مُشاعُ[٢٥] كلُ العبادات به مَشاعُ
أعجبُ منه لم يرَ الأنامُ يُعبدُ فيه الله والأصنامُ
فالبيتُ حالي الجنباتِ عاطلُ يجاورُ الحقَّ عليه الباطل
يُحَجُّ للبِرِّ وللخِلالِ وتارةً لله ذي الجلالِ
كلٌّ فريقٍ حول ما أحبَّا وكل قوم يعبدون رَبَّا
تسمُّحٌ للعرب القُرومِ لم يُلف في الفرس ولا في الرومِ
سُقراطُ لو جاورهُمْ مُعافَى لم يَذقِ السجنَ ولا الزُّعافَا

هوامش

(١) جمال.
(٢) من كسا الكعبة الوصائل والملاء وأنه أول من كساها.
(٣) الحجارة العظيمة.
(٤) فرعون مشهور.
(٥) هما إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.
(٦) الحجر الأسود.
(٧) مكة.
(٨) إبراهيم عليه السلام.
(٩) زوجة إبراهيم عليهما السلام.
(١٠) إسماعيل.
(١١) جد حي من العرب البائدة.
(١٢) بطن مكة.

(١٣) في ابن الأثير أنّ نارا ظهرت ببلاد العرب في الجاهلية فكانت فتنة لهم وكادوا يتمجسون فأطفأها خالد بن سنان العبسي.

(١٤) يجيء إلي.

(١٥) الشعاع.

(١٦) مسيرها بالليل إلى البيت.

(١٧) أي تسمع أنفاسها من شدة العدو.

(١٨) أي منطرحة إبلهم إعياء.

(١٩) يخدم.

(٢٠) الرفد العطاء.

(٢١) متعبد.

(٢٢) المساومة.

(٢٣) إياد ووائل قبيلتان.

(٢٤) عربي خطيب حكيم.

(٢٥) المُشاعُ والمشاع واحد وهو غير مقسوم.

السيرة النبوية الشريفة

مُحمدٌ سُلالةُ النُّبُوّهْ   ابنُ الذبيح[١] الطاهرُ الأبُوّهْ

العربيُّ طينةً نبيلهْ   القُرشي الباذخُ القبيلهْ

أبوه ذو النور الجميلُ الجَعْدُ   ومُرضِعوه الفُصحاءُ سَعدُ[٢]

وبيتُه النجمُ الرفيعُ شهرهْ   ونبعتاه هاشمٌ[٣] وزهْرَهْ

قد نزل اليُتْمُ به جنينا   لم يتهيّبْ سيدَ البنينا

فنهضتْ بأمره العنايهْ   تُحسِنُ في نشْأَتِه البنايهْ

لما حواهُ آلُه يتيما   حوى فريدًا سِلكُهم يتيما

من شَيْبةَ[٤] المباركِ الأغرّ   إلى أبي طالبٍ الأبرِّ

ولا حُنُوّ الجَدّ   ورُب عمٍّ من هِبات الجَدِّ

فشبّ حُلوًا[٥] سَمتُه ودَلُّهُ   ليس له من اليتيم ذلُّهُ

مُرتسِما في أدب الإسلام   من اجتناب الخمر والأزلامِ[٦]

مُنحرفًا عن الدُّمي صبيا   وهكذا من يُجتبَى نبيا

مُبرّءًا من نَزقٍ وطيشِ   وخيلاءَ في بني قريشِ

مُلقبًا في البلد الأمينِ   دون بني الأعيان بالأمينِ

مُجمّلاً بالصدقِ في صبائِه   والصدقُ كان من حُلَى آبائِه

حتى جرى لغاية الرجال   فلم يزل مُجَلَّى[٧] المجالِ

فات قريشًا بمكارم الخُلُقْ   مثلُ ابنِ عبد الله للسبقِ خُلِقْ

قد حاز من مواهب السعادهْ   مالا يحوزُ بَشرٌ في العادهْ

أكرمُ من صَوْب الحيا نصابا   وأجـودُ الـنـاس بـمـا أصـابـا

وقـائـدُ الـخـيـلِ فـتًـى وكـهـلا   وكـان فـي الـمـهـد لـذاك أهـلا

إن حاد في الكرب الكماةُ لم يَحِدْ   قد عـلـمـتْ ذاك حُـنَـيْـنٌ[٨] وأحُـدْ

وذائـدُ الـحـقـوق والـمُـحـامـي   عـن جـارِه وواصـلُ الأرحـامِ

الأصبحُ الأفصحُ في المجامعِ   الحُلوُ في العيون والمسامعِ

إن الـجـمـالَ حِـلـيَـةُ الأقـمـارِ   ما أضيعَ الحسنَ على الأغمارِ

من جِزْيَةِ الوحي على لسانهْ   أعيا المجيدين مدى إحسانهْ

حـديـثُـه حـلاه إسـمـاعـيـلُ   وبـلَّـه بـريـقـهِ جِـبـريـلُ

حِلْيةُ مَن صاغ الكلام وعَلِمْ   وكيف لا وهو جوامع الكَلِمْ

كان رسولُ الله في شبابهِ   لا يَـدعُ الـرزقَ وطَـرْقَ بـابـهِ

أيُّ رسـولٍ أو نـبـيٍّ قـبـلَـهُ   لم يطلب الرزقَ ويَبْغِ سُبْلَهُ؟

مُوسَى الكليمُ استؤجر استئجارا   وكان عيسى في الصِّبا نجَّارا

من أحسن الأمثالِ فيما أحسَبُ   الخُبزُ لا يُعطى ولكن يُكسَبُ

والرزق لا يُحرَمُه عبدٌ سعى   مُـضـيَّـقًـا عـلـيـه أو مُـوسَّـعـا

لا تـألُ لا سـعـيًـا ولا تُـكـلانـا   لا يـنـفـعُ الـتـوكُّل الـكـسـلانـا

كـان قُـبَـيْـلَ الـبـعـثِ رَبَّ مـالِ   وتـاجـرًا مُـيـسـرَ الأعـمـالِ

يَضربُ في حَزْنِ الفلا وسهلِهِ   بـمـال عـمِّـه ومـال أهـلِـهِ

مُـبـارَكَ الـرِّحـلـةِ والإقـامـهْ   مستصحِب الجِدِّ والاستقامهْ

ولـيـس لـلـتـاجـر مـن ضـمـانَـهْ   أبـقَـى ولا أوْفَـى مـن الأمـانـهْ

والرزقُ بين الناس بحرٌ جارِ   شِـراعُـهُ يُـرفَـعُ لـلـتـجّـار

ومـا تـلـقَّـى الـرزقَ بـالـيـمـيـنِ   في الناس مثلُ التاجرِ الأمينِ

فـاسـتـرزقِ الـلـه وقـفْ بـبـابـهِ   واكسبْ فأهلُ الكسب من أحبابِه

لابدّ في هذي الحياة من أدبْ   لـمـن تـصـدّى لـلأمـور وانـتـدبْ

فـأدبُ الـصـانـع إتـقـانُ الـعـملْ   وأدبُ الـتـاجـر بـالـصـدق كـمَـلْ

لـمـا أخـالَ[٩] الـرشـد والـهـدايـهْ   وانـقـشـعَ الـضـلالُ والـغـوايـهْ

دعـاه داعٍ لـم يـكـنْ بـالـبـال   إلـى انـتـيـاب أرْؤسِ الـجـبـال

يصعَدُ مثلَ (النجم) فيها مُوفِيا[١٠]   وينزل (الكهفَ) بها مُستخفيا[١١]

وكـم أواهـا خـالـيًـا بـنـفـسـه   وفـاز مـن وحـدتِـه بـأُنِـسِـه
عـالـجَ فـي (الـمـعـارج) (الإسـراءَ)   وبَـدَلَ (الـطُّـور) ارتـقـى (حِـراءَ)
بات على (الإخلاص) (والإيمان)   وطـالـت (الـسـجـدة) (لـلـرحـمـن)
(والكافرون) في (قريشٍ) (والبلدْ)   (لـم يـكـن) الأمرُ لـهـم عـلـى خَـلَـدْ
حتى أتى (الفتحُ) وجاءَ (النصر)   واستقبل (النبَا) العظيمَ (العصرُ)
وهـبـط (الـنـورُ) عـلـيـه وحْـيَـا   ونـزل (الـفـرقـان) فـيـه مَـحـيَـا
مُـنـزّلا بـحـسَـب الـزمـانِ   مُـفـصَّـلَ الـلـؤلـؤ والـجُـمـانِ
فـي كـل لـيـل أو نـهـارٍ آيـةْ   كالشمس أو كالبدر بُعدَ غايةْ
جـامـعـةٌ بـيـن الـبـيـان الـرائـعِ   وبـيـن عُـلـيـا حِـكَـم الـشـرائـعِ
ولـم يـزلْ نـزولُـه مُـفـرّقـا   مُـشـرّقًـا بـه الـحِـجـازُ مُـشـرِقـا
مُـسـايِـرَ الـنـبـيِّ طـولَ عُـمْـرِهِ   ونـورَه فـيـمـا دجـى مـن أمـرِهِ
حـتـى إذا أَمـسـى الـقـضـاءُ حُـمَّـا   تـمتْ حـيـاة الـمـصـطـفـى وتـمـا
كـان ابـتـداء الـوحـي فـي حِـراءِ   فـاتـحـةَ الـرسـالـة الـغـراءِ
الـلـه خـيـرَ خَـلْـقِـه أعـطـاهـا   وحَـمّـلَ الأمـر الـعـظـيـمَ طـه
أرسـلــه قــلادةَ الــنــظــام   عـصـمـاءَ عِـقـدِ الـرُّسـلِ الـعِـظـام
فـجـاءَ بـالـخـيـر ذوي قُـرْبـاه   مَـنْ قَـبِـلَ الـرُشْـدَ ومَـن أبـاه
نـاجـاهـمـو بـيّـنـاتِ ربّـهِ   فـآمـنـتْ (بـنـتُ خُـوَيْـلِـدٍ)[١٢] بـه
فـقـيـل فـيـهـا أسـبـقُ الإنـاثِ   وفـي عَـلـيٍّ أسـبـقُ الأحـداثِ
وفـي الـرجـال لأبـي بـكـرٍ يـدُ   بـالـسـبـق لـم يـبـلُـغْ مداهـا سـيّـدُ
وكـانـت الـدّعـوةُ بـالـكـتـاب   وحـجـةِ الـلـه عـلـى الـمـرتـابِ
فلم تزلْ حتى انثنتْ بحَمزةِ   وانـقـلـبـتْ بـعُـمَـر فـعـزّتِ[١٣]
ودخل الـمـسـتـضـعَـفـون[١٤] فـيـهـا   كـلُّـهـمـو خـوف الأذى يُـخـفـيـهـا
عُـذِّبَ بـعـضـهـم ربـيـطَ الـجـاشِ   وبـعـضُ الـتـجـا إلـى الـنـجـاشـي[١٥]
وصـبـرَ الـداعـي عـلـى الـبـذاءِ   ومــا يُــلاقــيــه مــن الإيــذاءِ
فـمـا مـقـالُ الـجـاهـلِ الـمـفـنِّـدِ   تـأسّـس الإسـلامُ بـالـمُـهـنّـد؟
أمَـن يُـسِـلُّ سـيـفَـه يـسـتـخـفـي   ويـحـملُ الـخـسـفَ لأهـل الـسُّـخْـفِ!
مـن اسـتـطـاع أخـذ شـيءٍ عَـنـوةْ   كـان لـه عـن الـعـلاج غـنـوةْ[١٦]

نـال الـرسـولَ الـضُّرُّ مـن عـداه — وبـلــغ الأذى بــه مــداهُ
ومـات مـن آوى وربّـي واصـطـنـعْ — وذاد عـن خـيـر الـبـنـيـن ومَـنـع[17]
وحـائـطُ الـدّعـوةِ فـي أسـاسِـهـا — ورُكـنُـهـا قـبـل اشـتـداد بـأْسِـهـا
وارتْ أبـا طـالـبٍ الأحـجـارُ — فـأَعـوزَ الـحـامـي وعـزّ الـجـارُ
وركِـبـتْ مـتـنَ هـواهـا هـاشِـمُ — وجـال غـاويـهـا وصـال الـغـاشِـمُ
وكـان مـن أفـحـشِـهـا أبـو لَـهَـبْ[18] — عمٌّ، ولـكـن مَـذهَـبَ الـسـوء ذَهـبْ
فـحـقـتْ الـهِـجـرةُ وهـي مُـرّهْ — مـا وُصـفـتْ إلا لـنـفـس حُـرّهْ
سـبـيلُ موسى في الزمان الأوَّلِ — ومـذهـبُ الـروح ولـمَّـا يُـحـولِ[19]
ومــركَــبُ الأفــرادِ والأعــلامِ — وخـصَـمـاءُ الـظـلـم والـظُّـلامِ
مـا أجـمـلَ الـهـجـرةَ بـالأحـرارِ — إن ضـنّـتِ الأوطـانُ بـالـقـرارِ
تـأمّـلِ الـرّسـلَ الـكـرَامَ واعـتـبرْ — إن العظيم للعظيم يصطبرْ[20]
مـا أَصـعبَ الدعوة في البدايةْ — حتى على الرُّسْل أولى الهدايْه!
وأثـقـلَ الـحـقَّ عـلـى الـجـمـاعـةْ — إن وُجـدتْ أُذْنٌ لـه سـمَّـاعـةْ
والـنـاسُ فـي عـداوة الـجـديـدِ — وقـبـضـةُ الأوهـام مـن حـديـدِ
هـاجـر م أم الـقـرى مـأذونـا — ومـا دري أو سـمـعَ الـمـؤذونـا
في ليلة للختْل كانت مَوعِدا — قد نصبتْها شَرَكًا أَيدي العِدا
ائـتـمرتْ في الـنّدوةِ[21] الأعـيـانُ — وانـتـدِبـتْ لـلـفـتـكـةِ الـفِـتـيـانُ
وقــعــدوا نـاحـيـةً كَـمـيـنـا — لـيـغـدروا فـي داره الأمـيـنـا
فـخـرج الـلـه مـن الـبـيـت بِـه — لـم يـرَهُ الـجـمـع ولـم يـنـتـبِـه
وسـار فـي ركـابـه الـصِـدّيـقُ — وفـي الـبـلاءِ يُـعـرفُ الـصَّـديـقُ
فـانـتـشـرتْ خـيـلُ قـريـشٍ تـطـلـبُـهْ — من ينصرِ الرحمنُ من ذا يغلِبُه؟
مـرّوا عـلـى الـغـار مُـضـلَّـلـيـنـا — وأخـذوا الـسُّـبْـلَ مُـسـائـلـيـنـا
حـتـى بـدتْ سـيـدةُ الأمـصـارِ — وبَـلـدةُ الأعـيـان والأنـصـارِ
وكـان فـيـهـا لـلـرسـول شِـيـعـةْ — وعُـصـبـةٌ سـامـعـةٌ مُـطـيـعـةْ
قـد عـرضـوا بـمـكـةَ الـمـبـايـعـةْ — وبذلوا في المَوْسِم المتابعةْ[22]
وكـان إيـمـانُـهـمـو فـي الـسـرِّ — خـوفَ قُـريـشٍ واتّـقـاءَ الـشـرِّ
فـكـان لـلـقـادمِ مـنـهـم أهـلُ — ومـنـزلٌ رحـبُ الـفِـنـاءِ سَـهـلُ

باليُمْنِ ألقى رحلَه في الخزْرَجِ ... كـأنّـه مـن أرضِـه لـم يَـخـرجِ
وامتنعتْ يَثربُ[٢٣] في النّبُوّهْ ... وامـتـلأتْ مـن مَـظـهـرٍ وقـوهْ
واجـتـمـعـتْ حـول الـهـدى لـواءَ ... يُـحـاربُ الـضـلالَ والأهـواءَ
كـلّ غَـزاة لـلـنـبـيّ حـقّـه ... لم يَعْدُ في حرب قريشٍ حَقّهْ
لـيـس سـواءً كـلُّـهـا الـعَـوانُ[٢٤] ... لا يـسـتـوي الـدفـاعُ والـعُـدوانُ
وربّ صـالٍ نـارَهـا لـم يَـجـنِـهـا ... وإن يكن من شُهْبِها وجنِّها
هـم بـلـغـوا نـهـايـةَ الـتـمّـردِ ... وطـرّدوا الإسـلامَ كـلَّ مَـطْـرَد
وصـادروا الأمـوالَ مـعـتـديـنـا ... ونـاصـبـوا مـحـمّـدا والـديـنـا
وهـادنـوا ثـم بـغـوْا فـنـاهـدوا ... ونـقـضـوا مـا أبْـرمَ الـتـعـاهـد
فـكانت الـحـربُ لدفعِ الحَيْفِ ... قد تُؤخَذُ السِّلمُ بحد السيف
وكـان (بـدرٌ) مـطـلـعَ الأيـام ... ورفـعـةَ الـصـلاة والـصـيـام
وأوّلَ الـعـهـدِ بـعـزّ الـمـلَّـهْ ... وبـارتـداءِ الـمـشـركـيـن الـذِّلـهْ
و(أُحُـدٌ) جـالـوا بـهـا وجـالا ... وانـكـشـفـتْ بـيـنـهـمـا سِـجـالا
خيرُ الأساة كان من جَرحاها ... دارتْ عـلـى ثـبـاتـه رحـاهـا
خـالـف فـيـهـا الـمسلمون رايَـهْ ... والـحـربُ لـلـقـائـد ذي الـدّرايـهْ
و(خَـيْـبَـرٌ) كـانـت مـع الـيـهـود ... لـنـقـضِـهـم مُـوَكّـد الـعـهـودِ
ودسِّـهـمْ عـلـيـه فـي قـريـشِ ... وعَـونِـهـمْ عـلـيـه كـلَّ جـيـش
كيلوا بسيف الحق كَيْلَ السندرهْ ... ولـم يقفْ مَرحَبُهم لحيْدَرهْ[٢٥]
فلم يدعْ حصنًا عليها قائما ... ولـم يَـعـدَّ الـفـاتـحُ الـغـنـائـمـا
ومـا يـهـودٌ بـالـسِّـخـافِ الأغـبـيـا ... إذ ظاهروا الشِّركَ عدوَّ الأنبيا
إني أظنُّ الحرصَ مَنّى القوما ... أنْ سيسودوا بـالـحِـجـاز يـومـا
وأن دِيـنَـهـم بـذاك أجـدَرُ ... وأنـهـم عـلـى قـريـشٍ أقـدرُ
وفـي حُـنـيـنٍ عـظُـمَ الـبـلاءُ ... وحـلَّـتِ الألـطـافُ والآلاءُ
اغـترّ فـيـهـا الـمسلمون كثرهْ ... ولـلـغـرور بـالـرجـال عـثـرهْ
أنساهمُ الحُطامُ ذِكرَ الساعه ... فمال نصرُ الله عنهم ساعهْ
لـولا رسـولُ الـلـه فـيـهـم بـادوا ... وأصـبـحـوا يـرويـهـمُ الـعـبـادُ
أيِّـد بـالـصـبـر وبـالـثـبـاتِ ... والـرابـطـيـنَ الـبُـهـمِ الأبـاةِ

ونـزل الـنـصـرُ مـن الـسـمـاءِ – مُـؤَزَّرًا مُـجَـلِّـيَ الـغَـمَّـاءِ[26]

فـكـان لـلـهـادي عُـلُـوَّ شـانِ – وغـيـظَ كـلِّ حـاسـدٍ وشـانِ

قـفْ بـقـريـشٍ بـعـد بـدرٍ وسَـلِ – ما غرّها بابن أبيها المرسَلِ؟

أم حسدًا، والأهلُ أَهلٌ للحسدْ – لو استطاع أَنكر الرأسَ الجسدْ

أولُ مـحـسـودٍ هـو الـقـريـبُ – والـفـضـلُ فـي ديـاره غـريـبُ

تـريـدُ حـربًا ويُـريـدُ سِـلـمَـا – تَـزيـدُ جـهـلا فـيَـزيـدُ حـلـمـا

هـم مـنـعـوه الـرُّكـنَ والـمَـقـامـا – وسِـيـمَ بـالـمـديـنـة الـمُـقـامـا

أرادَ حـربَـهـمْ فـسـيـل فـصـفـحـا – وهـمَّ بـالـفـتـح فـقـيـل صُـلـحـا

عـاهـدهـم فـأخـلـفـوه الـمَـوْثِـقـا – وركبوا الغدرَ الوبيلَ المُوبِقَا

بَـغـوْا عـلـى أحـلافِـه الـكِـرامِ – جـيـرتِـه بـالـبـلـد الـحـرامِ

فاستصرخوه فأتى من طيْبهْ[27] – كالسيل يُزجِي رعدَه وسَيْبَهْ

وفُـتـحـتْ مَـكـةُ لـلإسـلام – وحـلّ فـيـهـا ظـافـرَ الأعـلامِ

ونُـزِّهَ الـبـيـتُ عـن الأوثـانِ – والـلـه عـن نِـدٍّ لـه أو ثـانِ

ورَفِـقَ الـغـالـبُ بـالـمـغـلـوبِ – فـكـان أيـضـا فـاتـحَ الـقـلـوبِ

أطـلـقـهـم ومَـنَّ بـالأمـانِ – فـالـطُّـلـقـاءُ هُـمْ عـلـى الـزمـانِ[28]

وكـان مـن تـسـويـةِ الإسـلامِ – وجـعـلِـه الـفـتـاةَ كـالـغـلامِ

بَـذْلُ الـنـسـاءِ كـالـرجـال الـبَـيْـعه – كلا يُشتكى لحقِّهنَّ ضَيْعَهْ

مستقبلاتِ المصطفى خلفَ الخُمُرْ – يـأْخـذُهـا لـه عـلـيـهـنَّ عُـمَـرْ[29]

بـايـعـن حـتـى هـنـدٌ[30] الـمـنـاضـلـهْ – عـلـى الـوَلاءِ والـخـلال الـفـاضـلـهْ

وظـلـتِ الـدعـوةُ فـي يـسـارِ – الـسـيـفُ يـحـمـى والـكـتـابُ سـار

وبُـعـثَ الـرُّسْـلُ إلـى الأحـيـاءِ – يُـحـيُـون فـيـهـا مـيّـتَ الأحـيـاءِ

يَـمـضـون لـلـه ولـلـرسـولِ – ويـنـثـنـون بـبـلـوغ الـسُّـولِ

وكـم أتـتْ مـن دونـهـا آجـالُ – ومـات دون الـواجـب الـرجـالُ

حـتـى أظـلّ الـعـربَ الإسـلامُ – وشَـمَـلَ الـجـزيـرةَ الـسـلامُ

وبـلـغ الـصُّـمَّ بـلاغُ الـداعـي – وأسـمـعـتْـهـمُ حَـجَّـةُ الـوَداعِ[31]

هـنـاك حـان أجـلُ الـطـبـيـبِ – وحَـكـمَ الـمـحـبُّ فـي الـحـبـيـبِ

سبحان من له البقاءُ دون حدْ – ولـيـس فـوق الـمـوت غـيـرَه أحـدْ

هوامش

(١) إسماعيل.

(٢) حي من العرب.

(٣) هاشم أبو عبد المطلب جد رسول الله لأبيه وزهرة أبو عبد مناف جده لأمه وكلاهما من سادات العرب.

(٤) اسم عبد المطلب جد رسول الله.

(٥) السمت حسن الهيئة والدل السكينة والوقار وحسن السلوك.

(٦) سهام كانت الجاهلية تستقسم بها.

(٧) الجواد الأول في السبق.

(٨) من غزوات رسول الله.

(٩) بشر بالخير.

(١٠) أي مشرفا.

(١١) كضوء النجم في الكهف لا يراه من في الخارج.

(١٢) السيدة خديجة زوجة رسول الله.

(١٣) نصرت وتأيدت.

(١٤) الذي يرى عليهم الضعف.

(١٥) ملك الحبشة.

(١٦) أي غنى.

(١٧) هو عمه أبو طالب.

(١٨) عمه المذكور في القرآن.

(١٩) عيسى عليه السلام ولم يكن اكتمل حولا.

(٢٠) إشارة إلى هجرة أكثرهم وتجرعهم غصة الخروج من الديار.

(٢١) دار الشورى.

(٢٢) متابعته على دينه الحق.

(٢٣) المدينة.

(٢٤) الحرب العظيمة.

(٢٥) هو عليّ عليه السلام ومرحب بطل اليهود.

(٢٦) أي كاشف الغمة.

(٢٧) المدينة المنورة.

(٢٨) هذا لقب أهل مكة بعد أن أطلقهم رسول الله وأمنهم.

(٢٩) كل هذا إشارة إلى مبايعة عقائل قريش إياه عليه السلام.

(٣٠) هند بنت عتبة أسلمت وبايعت وكانت تؤذى رسول الله قبل الفتح.

(٣١) آخر حجة لرسول الله خطب فيها وبلغ وأرى الناس مناسكهم وعلمهم حجهم.

الخُلفَاء الراشدُون

الخلفاءُ الراشدونَ أربعَهْ　　مَرضِيّة سُنّتهمْ مُتَّبعهْ

في الذِّكْر لم يُغْفَل لهم حَديثُ　　وذِكْرُهمْ سَيّرَهُ الحديثُ

العُمَران[1] وابن[2] أروَى وعَلِي　　في الذِّروةِ الشمَّاءِ والأوْج العَلِي

خلائفُ الله أئمةُ الهُدَى　　وَطَّأَ للحَقِّ بهمْ ومَهَّدَا

كلُّهمو ابنُ أمسِهِ ويَوْمِهِ　　عِمادُ دارِه عَميدُ قومِهِ

هُمُ النجومُ في سماءِ غالبِ　　ومطلع الهادي المنيرِ الغالبِ

نماهمو كما نماهُ فِهْرُ[3]　　فبينهم واشجةٌ وصهرُ

معادنُ الوفاءِ والإخاءِ　　صَحابةُ الشِّدَّةِ والرَّخاءِ

ما مَنَعوا اللهَ ولا نبيَّهْ　　قِيادَ نفسٍ سَمْحةٍ أبيّهْ

وما الْحَوَارِيّونَ خَلْفَ عيسى　　أحثَّ منهم للنجاةِ عِيسَا[4]

رُعاةُ شاءٍ وتِجارُ مالِ　　كالرُّسْل في هذا وفي الكمال

قد كفلوا الإسلامَ في صباهُ　　فأيُّهم نادَى دَعَي أباهُ

بالنفسِ والنفيس أَيَّدوهُ　　وبالقنا والرأي شيّدوهُ

وأمّنوا ديكَ الهدى فصاحَا　　وآمنوا بفجره مُنصاحا

كلهمُو فيه المجيبُ الأولُ　　عَطْوه غاياتِ الرضى ونوّلوا

فاسبقْ إذا الحقُّ دعا مستنصِرَا　　وكنْ إذا عُدَّ الحماةُ الخِنْصَرَا

ما حَمَل النفسَ على الأشقِّ　　كقائل الصدق وحامي الحقِّ

حتى جبا الأرضَ إليهم مَنْ جَبَا　　وملكوا الدنيا فكانوا أعجَبا

حدِّثْ عن الخليفة الخميصِ[٥] والمَلِكِ المخرَّقِ القميص
مثل الجوادِ زانه الإضمارُ والشمس زادت حسنَها الأطمارُ
لا يعقدون في الجباهِ العسجدَا بل الترابَ للمليك سُجَّدَا
وتحَت أقدامهم التيجان ينُدبُها اللؤلؤ والمَرجانُ
كِسرى ببطنِ الأرض عطْل المفرقِ وقيصرٌ ينُدُبُ تاجَ المشرق!

هوامش

(١) أبو بكر وعمر.
(٢) عثمان.
(٣) هو أبو غالب سيد قريش ومن أجداد الرسول.
(٤) العيس الإبل، أي هربا من الدنيا وطلبا للآخرة.
(٥) الجائع.

خِلافة أبي بكر الصّديق

سبحان من يُنعِمُ كيف شاءَ   ساس الورى من كان يَرعى الشاءَ

يقود بعد إبلِ ابن عَامِر[١]   ما دَبَّ في غامِرها[٢] والعامِر

سما سموَّ الثاقب السيّارِ   والخيرُ عُقبى صُحبةِ الأخيارِ

من أيِّد الحقُّ به تأيَّدَا   وعاش أو مات كريما سيّدًا

وكلُّ عزٍّ في ظِلال الباطِلِ   نسجُ عناكب وخيطُ باطلِ

كم شوَّه الباطلُ حين سوَّدا   كالنار تعلو بالدُخان أسودا

لما هاب بالرسول الداعي   وآذن الجثمانُ بالتداعي

ولَّى أبا بكرٍ على الصلاةِ   وتلك عليها رُتَبِ الولاة

فبايع الطائع والأبيُّ   طوبى لمن بايعه النبيُّ

وكان ما لم يكُ منه بُدُّ   أقضية الرحمنِ لا تردُّ

أصابت الفتنةُ والحبائلُ   ونَكَستْ بعد الهدى القبائلُ

وثاب أقوامٌ إلى الأوثانِ   وقام غاوٍ وتلاه ثانِ

تنبآ فلقيا نجاحَا   واتّبعتْ طائفةٌ سَجاحا[٣]

واضطرب الحبل وماجت   واقتحمَ الفتنةَ فابتلّ عمرْ[٤]

الزُّمَرْ يومٌ كيوم السامِريِّ[٥]   دَفْعُ أبي بكر وعونُ المَوْلَى

لولا غُمَّ على الحِجاز، فاسترابا   نزولُ ذاك القمرِ الترابا[٦]

جلَّى الإمامُ يوم ذلك الغُمَمْ   إن المهماتِ ميادِين الهِمَمْ

أُعين بالتأييد والتسديد   وفتيةٍ بنُوا من الحديد

من كل سيفٍ سلَّة المختارُ ... ماضٍ فِرِنْدُه الصِّبا بتّارُ
أسامةُ[٧] الأسماءِ والأفعالِ ... أجرى من الهلال للمعالي
قد نصروا الله وبرّوا الهادي ... ووصلوا الجهادَ بالجهادِ
وأصلَوْا الشرك الحروبَ ... واستأْصلوا شأفته ودابِرَهْ
الغابرهْ ورفَّت السِّلمُ على ... صافيةً حياضها غزيرهْ
الجزيرهْ وحُبِّبَ الفتحُ إلى الإمامِ ... لابدّ للبُنيان من تَمام
فانساحت الكتائبُ انسياحَا[٨] ... أرسلها من يُرسلُ الرياحَا
خيلٌ لَمسْنَ أثرَ البُراقِ ... بُورِكَ للشامِ وللعراقِ
اليُمْنُ من غُرّتِها للحافرِ ... ومَتْنُها من ظافرٍ لظافرِ
يقودُها ألويةُ الجهادِ ... أشهادُ بدرٍ أو بنو الأشهادِ
فكانت البصرة أولَ الثمرْ ... ثم ترقى في المنازل القمرْ
وَفَتَح الله على القوَّادِ ... مفاتح النهرين والسوادِ[٩]
واقتحموا الشامَ فزال شُومُها ... وضاق ذرعا بهمُ غَشُومُها
وسلكوا الجبالَ والفُروجا[١٠] ... وملكوا كالشُهُبِ البروجا
ونازلوا الرومَ بأجنادينا ... فكان دنيا لهمو ودينا
يومٌ، على ما شابه، سعيدُ ... قد تكدُرُ الأيام وهي عيدُ
فما ثنى القومَ عن القتال ... نَعِيُّ والٍ أو بشيرُ تالِ
فَتْحُ الفُتوحِ كان حِصَتْينِ ... تناصفا بين الخليفتين
حوى العتيق[١١] مُبتدا مفاخِرهْ ... وأحرز الفاروق[١٢] عِزَّ آخِرَهْ
فيا أخا الضّراءِ والشدائدِ ... والناسُ إخوانٌ لدى الفوائدِ
وسابقَ الآل إلى التصديقِ ... وآوىَ الغار مع الصَّدِيقِ
وباسطَ اليمن والشمالِ ... وتُعرَف الرجالُ عند المالِ
وقدوَة الزُّهّادِ بعد الهادي ... وصاحبَ الهجرةِ والجهادِ
وكاسي الأرامل الحُرّاتِ ... وحالبَ الأغنام للجاراتِ[١٣]
ويا رحيما قلبُه رقيقَا ... بماله كم حَرَّر الرقيقا
ومن قضى بعد غنًى فقيرا ... لم يجدوا في بيته نقيرا
ذهبتَ بالخير وأتعبتَ عُمَرْ ... يا ويح مَن بعدَ أبي بكرٍ أمرْ

رأيتَ فيه ما رأى الله لكا — فكان فضلَ الله ثم فضلَكا
عهدا كما كجُمعةٍ في عيدِ — في ظلِّ يوم بهج سعيدِ
الله زفَّ الفتحَ فيه وهَدَى — إلى قَنا الحقِّ وراياتِ الهدى
الشمس لو كانت تُخَطُّ مَضجَعَا — والبدر لو كان يِقلُّ الهُجَّعا
والصَّدَفُ التامَ على اليتائِم — من فَرِدِ اللؤلؤ والتوائم[14]
والغِمدُ لو يَسكنه سيفانِ — والجفنُ لو ينزلهُ طفيانِ
واللفظُ راق واحدًا وَرَاعَا — حولَ معانٍ دقَّت اختراعا
كروضةٍ وارَتْكُما بالقاع — من طينةِ الجنةِ لا البِقاع
خيرُ الأنامِ وَردُها المصونُ — وأنتما الأوراقُ والغصون
صحابةُ الدنيا رفاقُ البرزخِ — وإصبعٌ تحتَ الثرى كفر سخِ
إلا مقامًا قمتُما لن يَقبلا — تصرّفَ الدهرِ ولا حُكْمَ البِلى

هوامش

(١) هو عثمان بن عامر أبوه رضي الله عنه.
(٢) الغامر من الأرض هو ما ليس بالعالي.
(٣) امرأة من العرب ادعت النبوة.
(٤) هو عمر بن الخطاب قد كاد يفتن من شدة جزعه على رسول الله.
(٥) إشارة إلى فتنة بني إسرائيل بالسامري.
(٦) أي موت الرسول عليه السلام.
(٧) علم جنس على الأسد.
(٨) اندفعت.
(٩) هو سواد العراق أي ريفه.
(١٠) الفروج متون الأودية أو متون الطرق.
(١١) أبو بكر الصديق.
(١٢) عمر.
(١٣) كان رضي الله عنه يحلب الغنم لجاراته.
(١٤) توائم النجوم أو اللؤلؤ ما تشابك منها.

خلافَة عمر بن الخطاب

مضى أبو بكرٍ، وولاها عمرْ   الشمُس لا تُخلَفُ إلا بالقمرْ

ما مال حائطُ الهدى حتى اعتدلْ   والركنُ إن سَدّ من الركن بدلْ

بزاهدٍ قام مكان الزاهدِ   مُجاهدٍ نابَ عن المجاهدِ

قلَّده في نزعهِ الصلاةَ   إن الوُلاةَ تزنُ الولاةَ

بالمؤمنين نهض الأميرُ   مضطلِعٌ بأمرهم شِمِّير[1]

يوماه في الصُّحبةِ والإمامهْ   كلاهما السَّرْحة[2] والغمامه

إسلامهُ للدين كان عِزّا[3]   رنَّح عِطْفَ المصطفى وهزا

صُلِّيَ في الكعبةِ لمّا آمنا   وطاف بالبيت الطريدُ آمنا[4]

وكان في دين الجدود صُلبَا   لا يأْتَلِي الدين الجديد ثَلْبَا

ثار إلى حيثُ النبيُّ مُوعِدا   ومبرقًا بسيفه ومُرعدا

فجاءَه مُوحِّدٌ من الزمَرْ   وقال جيء أهلَك فانظر يا عمر[5]

وحدّتِ الله ابنةُ الخطابِ   وآمن السعيدُ في الأخطاب[6]

فجاءَها معتزِمَ الشِّراسِ   وكان صلبًا خشنَ المِراسِ[7]

فراعه من الخِباءِ هيْنمه[8]   وصوت مستخفيةٍ مُرنّمهْ

فقال ما أسمع؟ قالت: طه   فلم يصوِّبْها ولا خطَّاها

قال، وعِرفانُ الصوابِ مَكرُمَه: فاطمُ هذا منطِقٌ ما أكرمَهْ!

وآنستْ سكينةَ الحواري   من رجل في صحوه سوَّار[9]

كَحَمَلٍ مُدلَّلٍ صار الأسدْ   والصارمُ المسلولُ عاد كالمَسَدْ[10]

كـأنـمـا سـقـتْـه أمَّ لـيـلـى[11] أو أسمعتْ قيسًا[12] حديثَ ليلى
فـجـاءَ نـادىَ الـنـبـي فـاهـتـدى وكبّـر الـهـادي وهـلَّ الـمـنـتـدى
انظرْ إلى الحكمةِ كيف تُنشَدُ والنفسِ بعد الغَـيِّ كيف تَرشُد
لا تـقـضِ بـالـعُـبـوسِ والـطـلاقـهْ منَ امـرىءٍ حـتـى تـرى أخـلاقـهْ
كم ليّن كالصِّل[13] يُخفى مَصرَعا وأخشن كالصخر يُؤوى مَشرَعا
مـا اتّـبـع الـحـقَّ إذا تـغـلـبـا كـرجـل فـي بـاطـلٍ تـصـلَّـبـا
والرأيُ مثلُ العهد في الجليلِ يـرعـاه مَن يـرعـاه فـي الـقـلـيـلِ
إن الـذي رشَّـح لـلـمُـلْـكِ عُـمـرْ أَيّده بـالـعـلـم فـي خـيـر الـعُـمُـر
كـفـى بـصـحـبـة الـنـبي مَـعْـلَـما وبـالـنـبـي مـرشـدًا ومـعـلِّـمـا
من صَحِب النَّجمَ تعالى وانفردْ ومن دنا من ساحة البحر وردْ
عـلـمٌ عـلـيـه من بـيـانٍ وخُـلُـقْ ثـلاثـةٌ مَـنْ زِنّ لـلـمُـلـكِ خـلـقْ
عـابـوه بـالـشـدة وهـي حُـسْـنُ فـي رجـلٍ لـلـحـقِّ مـنـه حـصـنُ
مـيـسَّـر فـي صُـلْـبِ والـديـهِ لـتُـفـتَـح الـدنـيـا عـلـى يـديـه
بـالـعـدلِ والـدِّرةِ طـار بـالـعـرب وسار في الجوّ بهم وفي السَّرَب[14]
فـلـم يـزل دِعـامـةَ الإسـلامِ وهـامـةَ الـصـحـابـة الأعـلامِ
سمْحًا جوادًا في سبيل الله نَدْبا[15] عـن الـحـقـوق غـيـر لاهِ
مـجـاهـدًا بـبِـيـضِـه وسُـمـرهِ وشـهْـبِـهِ ودُهْـمِـهِ وحُـمـرهِ[16]
وعـنـبرَ الـعُـبّـادِ فـي الـجـوامـعِ وسَمَـر الـزهّـاد فـي الـصـوامـعِ
وقـاضـيًـا كـالـذَّكَـرِ الـيـمـانـي لـم يـأتـه فـي سَـنـةٍ خَـصْـمـان
حتى تلقى الحظَّ أسنى أكبرا أمَّ الـصـفـوفَ وتـرقَّـى الـمِـنـبـرا
حِباءُ[17] من قاس الصنيع وَقَدَرْ إن الـجـزاءَ بـأوانٍ وقـدَرْ
فـلـيس يـدري الـمـسـلـمون سيّدا أبـركَ وجـهًـا مـنـه أو أنـدى يـدا
مـن يـلـقَـه فـي طِـمْـره[18] يـلاق ركـنَ الـحـقـوق حـائـطَ الأخـلاق
وُلاتُـه فـي مـلـكـهـم رُهـبـانُ والـفـلْـكُ حـيـث سـاقـهـا الـرّبّـانُ
خـلـيـفـة يَـعُـسُّ فـي الإعـتـام[19] ويـطـبـخُ الـطـعـامَ لـلأيـتـامِ
طريقُه في العدلِ قطٌّ ما سُلِكْ من ذا قضى لسُوقةٍ على ملك[20]
فـتُـوحُـهُ لـلـحَـق فَـضْـلُ الْـبَـاري والـجـزْلُ مـن هِـبـاتـه الـكـبـارِ

اسْكَنْدَرُ الخَيلِ وَإنْ لم يَرْكبِ ... الأرضُ مِنْ أيّامِهِ في مَوْكِبِ
أقامَ في مَرْكَزِه بِيثْربَا ... وَشَرَّق القنا به وغرَّبا
ثَوَى وساق نُجَبَ الصحاب ... بُورِكَ في البحرِ وفي السَّحابِ
بَقِيَّةٌ مِنْ أُحُدٍ وَبَدْر ... مِنْ كل غابٍ طَلَعت وخِدرِ
مَحا مُرورُ الدَّهر مُسوَدَّ اللِّمم ... وهم كأمس حُمُسٌ[٢١] مُرْدُ الهِممْ
(بالقُدْسِ) جيشقٌ دونه رُهبانُهُ ... تحرّمت بِعَدْلهم صُلْبانه
وجحْفلٌ تحتَهمُ الإيوانُ ... كلهمُو كِسْرَى أنو شروَانُ
وفَيْلقٌ على جَوَانِبِ الْهَرَمْ ... تقلدُوا الحقَّ وسُرْبِلُوا الْكَرَمْ
لَوْ هَبَّ فرعونُ لخال مُوسى ... بِجانِبَيْه يَعْرِضُ النَّامُوسَا
تَعَهَّدُوا الفَتْح بالاخْتِطَاطِ ... ووصَلوا الْكُوفَةَ بالفُسطاطِ
وَراءَهم مُسَهَّدُ الفُؤادِ ... موكَّلُ العيُونِ بالقُوَّادِ
يَبْعَثُ بالزَّادِ ويُرسِلُ المدَدْ ... وَيُنفذُ الكتبَ ويأخذ العُدَدَ
مُبارَك على المدَى مَجْدُودُ ... ولِلجدود كُلِّهَا حُدودُ
إذا دَعَا بِوَجْهِهِ مُشيرَا ... نَحْوَ السَّماءِ اسْتَقْبَلَ البَشِيرا
حَتَّى جَلا كسْرَى عن المَدَائِنِ ... وآبَ بالإيوَانِ والخزائنِ
وشاطرتْهُ مُلْكَها الْقَيَاصِره ... والقُدْسُ فيما بذلتْ وناصِرَه
فتحٌ يُرِى الحوادِثَ الإباءَ ... إذا الفُتُوحُ أصبحتْ هَبَاءَ
أهْدى على الدهْرِ إلى الإسلامِ ... ما بين أعلى النيل والسلامِ
أرضٌ أصابَت من نَدَى السَّماءِ ... خيرَ النَّباتِ وعُيُونَ الماءِ
وعالمٌ باقٍ على عَهْد العَرَبْ ... وإنْ مَضى الدهْرُ عَلَيْهِمْ وضربْ
ما ضَيَّع الدِّينَ ولا اللسانَا ... لا يَدَ الفارُوقِ والإحْسانَا

هوامش

(١) المجرب الماضي في الأمور.

(٢) الشجرة العظيمة.

(٣) إشارة إلى قول الرسول: اللهم أيد الإسلام بعمر بن الخطاب.

(٤) أي صار المسلمون يطوفون بالبيت مجاهرين آمنين وكانوا لا يستطيعون ذلك.

(٥) هو نعيم عبد الله.

(٦) ابن عم عمر وختنه، والأخطاب جمع خطب وهو الذي يخطب المرأة، والمراد السعيد بكونه خطب فاطمة أخت عمر.

(٧) المراس المأخذ والمعالجة.

(٨) الصوت الخفي.

(٩) ذو الحدة والشدة.

(١٠) حبل من ليف.

(١١) كنية الخمر.

(١٢) مجنون بني عامر.

(١٣) الثعبان الخبيث.

(١٤) الطريق في الأرض.

(١٥) الشهم المنتدب لعظائم الأمور.

(١٦) أي يجمع خيله ودوابه.

(١٧) العطاء.

(١٨) الثوب البالي.

(١٩) الظلام

(٢٠) إشارة إلى حديث جبلة بن الأيهم الذي لطم سوقة فاقتص له عمر منه.

(٢١) شبان أشداء لم تشب لهم همم.

عُمَر وخالد بن الوليد

والله ما أدرِي ولا تدري الزُّمَرْ ... ما كان بين ابنِ الوليدِ وُعمر[1]

سيفُ الإلهِ سَلَّهُ النَّبيُّ ... وَهَزَّهُ وَليُّه الحبيُّ

أُغمِد لا كلا[2] ولا مُقصِّرا ... في حَرْب كِسَرى وقِتالِ قَيْصَرَا

تَوَجَّعَتْ لِعَزْلِه العُقاب[3] ... وحلّ بالمبرّأ العِقاب

ضغينةٌ[4] لم تدع الإماما ... حَتَّى رَمَى في يَدها الزِّماما

زلَة الكَبير أكبر الزّلل ... وَإن أُحيطت بالطِلاءِ والعِلل

خاف الإمامُ أن يكون فِتنهْ ... سياسةٌ عاليةٌ وفِطْنه

كما هاضتْ الممالكُ العظاما ... مَخافَةً أن يَقْطعُوا النظاما

وكم مرجَّى السْبقِ مات بالكمد ... قَدْ وَقَف النَّاس لَهُ دُونَ الأمَدْ

أُعِيذُ مِنْ مَضلَّهِ الحقد عُمر ... مثلُ الإمامِ بالمراشد ائتمرْ

لَعَلَّهُ أبْصَرَ وَجْهَ مَنْفَعهْ ... أو خاف ضُرًّا فَرَأى أنْ يَدفعه

فالسيفُ لا تأمنُه أنْ يَنْقلِبْ ... كم غَلَبَ الحقُّ بهِ وكم غُلِب

في طبْعِهِ الطيرة والشُرورُ ... وَرَبُّه يوما به مغرُورُ

وكَيْفَ غَدُرَ ابنُ الوليدِ كَيْفَا ... الله أَوْفى وَأبرُّ سَيْفا

عَجبْتُ مِمَّن ملكَ الزمانا ... دانَ بعد فارس الرُّومانا

ومن قَنَاه كل يوم ظَفَرْ ... وخيْلُهُ من سفَر إلى سفر

تتكلُ الطيرُ على بنُوده ... ويَنْزلُ النَّصْرُ على جُنُوده

تهَيّب الْبَحْرَ وخافَ حَرْبَه ... وحَرّمَ المُجاهدِين قُربَه

ظل الولاةُ يَبْسطُون الرَّاحا	قلا يُلَبّى لهمُوا اقْتراحا
كم حسّنُوا النّفَعَ وقبّحَ الضَّرر	خوفا على جُنُودِه من الغَرَرْ
وقال لم يَأذَنْ ولم يُسلِّمِ	لا أشتري الرُّومَ بنفسِ مُسلمِ
كان الإمام وهو للعدل علمْ	لم يُنصفِ الرُّومَ وللبحر ظلم
كم جرّ نفع المسلِمين الرُّومُ	والبحرُ عز أبدا مرُوم
يَنْهَضُ بالملك العظيم فاتِحُه	لأنَّهُ مِنَ الثرى مفاتِحُه
فَيْروزُ منْهُ يَبْرَأ النَّصارَى	ومِثلُهُ إلى الْجَحِيم صَارَا
لا دِين للْبَاغِي وإن تَدَيَّنا	كَفَى بِقَتْلِ النَّفْس ظُلْمًا بَيّنَا

هوامش

(١) ابن الوليد — هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم أسلم سنه سبع للهجرة، وهو أحد الذين انتهى إليهم الشرف في الجاهلية من قريش. كانت إليه القبة والأعنة. فأما القبة فإنهم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش. وأما الأعنة فإنهم كانوا على خيل قريش في الحرب. كان أحد الأبطال الذين حاربوا أهل الردة. اشترك في فتح العراق وفي فتوح الشام. كان قائدا عاما للجيوش الإسلامية في الشام — في أواخر خلافة أبي بكر الصديق — فبينا كان المسلمون في ذلك اليوم المشهود — يوم اليرموك — في أشد حالات الحرب. واشتداد الطعن والضرب جاء البريد من المدينة ينعي أبا بكر ويخبر باسختلاف عمر بن الخطاب ومعه أمر بعزل خالد بن الوليد وتعيين أبي عبيدة بن الجراح أميرا عاما للجيش مكانه. وفي رواية أخرى أن البريد جاءهم وهم على حصار دمشق. وروى الطبري أن أبا عبيدة كتم عن خالد خبر عزله ريثما فتح دمشق وكتب لأهلها عهدا فأمضاه له. وحضر خالد بن الوليد بعد إمارته هذه معظم فتوح الشام متطوعا. وكان المسلمون يستمدون رأيه في الحروب ويقدمونه على أمرائهم ساعة الحاجة، وكان أبو عبيدة يوليه الجيوش للفتح. فلما فتح في إمارة أبي عبيدة قنسرين التابعة لولاية حلب وانتهى الخبر بذلك إلى عمر قال: أمر خالد نفسه. يرحم الله أبا بكر هو كان أعلم بالرجال مني.

أما سبب عزله فأمران: الأمر الأول ما كان في نفس عمر بن الخطاب عليه منذ قتل مالك بن نويرة في حرب الردة. كان مالك بن نويرة رجلا متحيرا يقدم للردة قدما ويؤخر

أخرى. قدم بالصدقات على أبي بكر رؤساء تميم كلهم كالزبرقان وصفوان بن صفوان، ووكيع بن مالك وغيرهم إلا مالك بن نويرة بقى مترددا فقصد خالد بن الوليد البطاح وبث السرايا وأمرهم بداعية الإسلام، وأن يأتوه بكل من لم يجب. وكان قد أوصاهم أبو بكر «أن يؤذنوا إذا نزلوا منزلا فإن أذن القوم فكفوا عنهم. وإن لم يؤذنوا فاقتلوا وانهبوا. وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم عن الزكاة. فإن أقروا فاقبلوا منهم وإن أبوا فقاتلوهم» فكان بين الذين جاءت بهم الخيل مالك بن نويرة في نفر من ثعلبة بن يربوع، فأمر بهم خالد فحبسوا في ليلة باردة، ثم أمر مناديا فنادى: دافئوا أسراكم. وهي في لغة كنانة القتل. فظن القوم أنه أراد القتل ولم يرد إلا الدفء فقتلوهم. وقتل معهم مالك بن نويرة. قتله ضرار بن الأزور، وتزوج خالد أم تميم امرأة مالك، فلما انتهى الأمر إلى أبي بكر وعمر رغب عمر إلى أبي بكر ثم ألح أن يستدعي خالدا ويقتص منه. فقال أبو بكر: يا عمر تأول خالد فأخطأ، فارفع لسانك عن خالد فإني لا أشيم سيفا سله الله على الكافرين. فلما رجع خالد ودخل على أبي بكر وأخبره بجلية الخبر واعتذر إليه قبل عذره. ولكن عمر أهانه وأسمعه كلاما أليما.

الأمر الثاني — وهو الأهم — إقبال جند المسلمين على خالد بن الوليد، وحبهم له، واستماتتهم بين يديه في كل مشاهده في العراق والشام لشجاعته، وحزمه، وتوفيقه في الحروب، وانتصاره على الأعداء. عرف هذا عمر بن الخطاب فوقع في نفسه شيء منه، وخشي من إقبال الناس عليه، عرف أن في نفس خالد من جهته ما في نفسه من جهة خالد، منذ قرعه ذلك التقريع الشديد عقب حادث مالك بن نويرة، فبادر إلى عزله قبل أن يصل خبر توليه منصب الخلافة إلى المسلمين، وخالد أمير على جيش عظيم منهم وقد جهر عمر بهذه الحقيقة، فقد روى أنه استدعاه بعد عزله إلى المدينة فعاتبه خالد، فقال له عمر: ما عزلتك لريبة فيك ولكن افتتن بك الناس، فخفت أن تفتتن بالناس.

(٢) الكل من السيوف الذي لا يقطع.

(٣) العقاب: قيل الراية، وقيل العلم الضخم، وقيل الحرب، وكل يصلح أن يكون مرادا في هذا المقام.

(٤) الضغينة الحفيظة أو الحقد.

(٥) الغرر: الخطر.

مقتل عمَر

شَكا إلى الخلِيفَةِ ابنُ شُعْبَه[1] لِكُلَفٍ يَزْعُمُهنّ صَعْبه
فَلَمْ يَجِدْهُ عُمَرٌ مَظْلُومَا ولا رَأى سيِّدَهُ مَلُومَا
وكانَ بالصَّنْعَةِ ذا إلْمام وَحَسْبُهُ شهادَةُ الإمامِ
إنْ يُذكر الرومُ إليهم ينْسبِ وَهو مِنَ الْفرسِ وفي الرومُ سُبى
إنَّ انكِسارَ الفُرْسِ شرَّ كسرهْ صَيَّرَ وجْدَانَ الغُلامِ حَسْرَهْ
فَباتَ لِلْفاروق يُضْمِرُ الإحن بما أصابَ قَوْمَهُ مِنَ المِحَن
والثَّارُ بالأَهْلِ الْكِرَامِ والْوَطَنْ قَضِيَّةٌ قَدْ شَغَلَتْ أَهْلَ الْفِطَنْ
لَوْ لَمْ تَلِدْهُ الأرضُ شَرَّ صِلّ ما اقْتَحَمَ الْمكَبّرَ المُصَلِّى
انْساب مَلأى مِنْ نقيع سُمِّهِ حديدةٌ قدْ لفّها بِكُمّهِ
أَغمَدَها في هَيْكَل الْجَلالِ وشَامَها في كَرَمِ الخِلالِ
فَرَحْمَةُ الله عَلَيْكَ يا عُمَرْ غامِرَةً كَعَدْلِك الذي غَمَرْ

هوامش

(١) ابن شعبة هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قاتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، هو فارسي الأصل من نهاوند، كان قد أسره الروم، ثم أسره منهم المسلمون، ولما قدم سبي نهاوند صار أبو لؤلؤة لا يلقى منهم صغيرا إلا مسح رأسه وبكى وقال: أكل عمر كبدي!

وقد ذكر المؤرخون عن مقتل عمر أن أبا لؤلؤة هذا شكا إليه ارتفاع الخراج الذي

ضربه عليه مولاه المغيرة وطلب إليه تخفيضه، فمن قائل إنه وعده خيرا، وعزم أن يخاطب المغيرة في تخفيف الخراج عنه، ومن قائل إنه سئل كم خراجك؟ فقال: درهمان في كل يوم، قال: وما صناعتك؟ قال: نحاس، نقاش، حداد، قال: فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال، فتوعده الغلام وانصرف، قال عمر: توعدني العبد، ولما أضمر أبو لؤلؤة قتل عمر اصطنع له خنجرا له رأسان وشحذه وسمه ثم أتى به إلى الهرمزان، فقال: كيف ترى هذا؟ قال: إنك لا تضرب به أحدا إلا قتله. فراح أبو لؤلؤة يراقب عمر ويترصده، وبينا هو في صلاة الغداة قام وراءه، فلما كَبر طعنه في كتفه، ثم في خاصرته، وقيل ضربه ست ضربات فسقط عمر، وقام المصلون يحاولون القبض على أبي لؤلؤة فأخذ يطعنهم عدة طعنات أصابت مقاتل الكثير منهم.

خِلافة عُثمان بن عفَّان

من لقتيلٍ بالسّفا[1] مُكفّنِ ... مرّتْ به ثلاثةٌ لم يُدفَنِ

تَعرِضُه نوادبًا أرملُهْ ... ويشفقُ النعشُ ويأْبى حاملُهْ

قد حيل بين الأرض وابن آدما ... ونوزِعتْ دارُ البقاءِ قادما

مُثِّلَ بالمهاجرِ[2] المُثنِّى ... على عُلوِّ شأْنه والسنِّ

تنبو العيون اليومَ عنه جيفهْ ... وأمسِ كان نورها خليفهْ

قد عُرِيَ المِنبرُ من أسمائهِ ... ورفل المُصحفُ في دمائهِ

تلازما تلازم اللُّماتِ[3] ... خِلَّيْنِ في الحياة والمماتِ

كنزٌ عليه نُقِبَ الجدارُ ... ورُقيتْ بالسارقين الدارُ

ومَلِكٌ بمَدْرج الأوغادِ ... من رائحٍ يلطُمُه وغادِ

من كلِّ رُستاقٍ[4] وكلِّ حاضِرهْ ... عقاربٌ والنعلُ غيرُ حاضرهْ

أتوْا من السواد والصعيد ... شقاوة للبلد السعيدِ

لإحنةٍ أو غَيّةٍ أو سَلَّهْ[5] ... وقلّ من جاءَ لخير الملَّهْ

وخِيضَ في القضية السخيفه[6] ... ومُلئتْ دارُ الرسول خيفهْ

وبخِلتْ بالنُّصرةِ الأنصارُ ... وأخرتْ نَجدتَها الأمصارُ

وقرَّتِ الفتيانُ في الحِجالِ ... وقرّتِ الشِّيخَانُ بالآجال

وتعب الوصيُّ[7] بالسفارهْ ... وانتُدبَ السِّبطان للخِفارهْ[8]

وابنُ أبي بكرٍ[9] مع الثّوارِ ... بغيَ الحواريِّ على الحوارِي

يا ليت شعري كيف ولاه على ... ليت الإمامَ المرتضَى لم يفعلِ

كيف يُولَّى مصرَ مخضوبُ اليدِ ... من راشدٍ مُوفَّق مؤيّدِ؟
الرأس في الشغْبِ[١٠] سواءِ والذَّنَبْ ... لا تبرأ العقربُ من ذنْب الذَّنَبْ
إن محمدا على الشيخ افترى ... وجرّأَ الناسَ عليه واجترىَ[١١]
آذاه في حُجرتهِ مخذولا ... ممتنعًا قيادُه مبذولا
عاينَ فيها الموت أَربعينا ... ينتظرُ الناعِي أو المُعينا[١٢]
وشرُّ ما هبّ عليه الغافلُ ... إن حكمتْ في العِليةِ الأسافلُ
ابنُ ثمانينَ فِتيُّ النيّهْ ... مُوطَّنُ النفس على المنيهْ
لم يُعطِهم، حيث النفوسُ تجزعُ ... خلافةَ الله التي لا تُنْزَعُ
أليستِ النفسُ تموتُ مَرّهْ ... فخذْ عليها أن تموتَ حُرّهْ
فإن تسلْ ماذا أتى عُثمانُ؟ ... مما يردُّ الدينَ والإيمانُ
تجدْ دَعَاوَى القوم لفّقوها ... وسِلَعًا بالدين نفّقوها
زرَوْا على الإمام ما لا يُزرَى ... وأركبوه الحسناتِ وِزرا
واستنكروا عُلُوَّه بالدورِ ... عن دارةِ الثلاثةِ البدور[١٣]
وقال قومٌ خالف الأترابا ... وحالف الثراءَ والإترابا[١٤]
وكرهوا التمصيرَ والتمْدِينا ... وعموا الدنيا تُعفّى الدِّينا
ويحهَمو! ما لهمو وما لَهْ؟ ... طاب وطيَّبَ الحلالُ مالَهْ
مالٌ كما شاء العفافُ والكرمْ ... زكا كهَدْي البيت أو حَلْي الحَرَمْ
والزهدُ حالٌ للقلوب والنُّهي ... ما أمرَ الله به ولا نهي
وهذه الدنيا يدُ العظيمِ ... وسِرُّه في مُلكِه النظيمِ
أسكنها العقلَ فكانتْ أشرَفا ... من كلِّ زاهٍ في السماءِ أشرفا
أحلّ منها ما صفا مشارعَا ... وحرّمَ الآياتِ والمَصَارِعا
وساقها للأنبياء ترسُفُ ... هذا سليمانُ وهذا يوسفُ
وأين من شأنْيهما عُثمانُ؟ ... على الذي خَوّلَه الرحمنُ
استقبحوا إحسانَه العميما ... أن يَشمَلَ القريبَ والحميما
وأن يناطَ القُطْرُ والولايهْ ... بمن له الصِّهرُ أو الوَلايهْ
وردَّدتْ قولَهمو الغَوْغاءُ ... كما تُعيدُ القولَ بَبّغاءُ
واتُّخِذَ المشاغبون آلهْ ... وقيل عثمانُ يخُصُّ آلهْ

رماهمو بعضُ الشيوخ من حسدْ ووقعوا في الرأْس طعنا والجسدْ
يـا حـبـذا ولاتُـه الأخـيـارُ ورأْيُـه فـيـهـم والاخـتـيـارُ
من حَسَنِ السيرة بالأمس أمرْ تحت النبيِّ والعتيقِ وعُمَرْ[15]
كهلٍ على الأمر قويِّ الكاهلِ بين الحواريِّ وبين العاهل
أو ذي شبابٍ تُرتَضَى حكومتُهْ لا فضلُه خافٍ ولا أرومتهْ[16]
مُـقـدمٌ لـلـفـضـلِ والأرابـهْ ولـيـس لـلـصـهـر ولا الـقـرابـهْ
يُضافُ مرفوعًا إلى الإمامِ إضافةَ البدرِ إلى التمامِ
فِتيانُ مُلْكٍ وبنو خلافهْ قد صَدقوا الأبوّةَ الخلافهْ
قد فتحوا قُبْرُسَ للإمامِ بالسُّفُنِ المُزْجاةِ كالغمامِ
فأصبح القاصي من البرّ اقتربْ وصار بحرُ الروم لُجَّةَ العربْ
وخفقتْ كتائبُ الإسلامِ في البحر أعلامًا على أعلامِ
فخرٌ لذي النوريْن أيُّ فخر وهمةٌ تذكَرُ لابن صخر[17]
يا طالما بالغَ في الخطابِ فلم ينلْها من فتى الخطَّابِ
سبحان من فرّقَ في الأئمهْ ما جلّ من مَنقَبة وهِمَّهْ
له الكمالُ وحدَه والمُلْكُ وهُو الدوامُ وسواهُ هُلْكُ

هوامش

(١) الغبار.
(٢) عثمان رضي الله عنه.
(٣) الأتراب.
(٤) الرستاق: القرية، والحاضرة: المدينة.
(٥) السرقة.
(٦) يفهم القارئ إن شاء سخف القضية العثمانية من الأبيات الآتية.
(٧) علي رضي الله عنه وكان السفير بين عثمان والثائرين.
(٨) هما الحسن والحسين وكانا في خفارة عثمان.
(٩) كان محمد بن أبي بكر يدبر ويكيد مع الثوار.
(١٠) الفتنة.

(١١) هو كما تقدم محمد بن أبي بكر وكان شديدا على عثمان محرضا عليه.

(١٢) من ينقذه.

(١٣) هم متقدموه من الخلفاء.

(١٤) الإيسار.

(١٥) أي جلهم كانوا عمالا لرسول الله وللعمرين.

(١٦) أصله ومحتده.

(١٧) هو معاوية رضي الله عنه أول من أركب العرب البحر.

الخصمات

يا فطنا بسِيَر الكبارِ   مُفتتنًا بغُرر الأخبارِ

وطالبَ الجوهر في التراجم   ملتمسَ التبر من المناجم

جِئتك بالبرجاس والمِرّيخ[1]   خصمين بين يدي التاريخ

قَرنْتُ خيرَها تُقًى وعلما[2]   بخيرها سياسةً وحلمًا[3]

بل قرنَتْ بينهما أيدي الغِيَرْ[4]   وافترقا على التلاقي في السِّيَرْ

أبو الشهابين وهل يخفى القمر[5] ؟   والثاقبُ الرأي اللعوبُ بالزمر[6]

أو قيّمُ الدين ولا أَحابي   وقيّم الدنيا من الصحاب

إن ذكر الآباء جَاءَا بالقمر[7]   جَدًّا تمناه العتيق وعمر[8]

تحدرا مُزنَيْنِ من غمامِ   ولاقيا الديمةَ في الأعمام

قُربَى على تفاوت المنسوبِ   كالمُوم والشهد من اليعسوبِ[9]

هوامش

(١) البرجاس المشترى يعني بالبرجاس والمريخ عليا ومعاوية.

(٢) عليا.

(٣) معاوية.

(٤) يريد بالغير ما شجر بين على ومعاوية.

(٥) علي والشهابان الحسن والحسين.

(٦) معاوية.

(٧) عبد مناف وهو جدهما الذي يلتقيان فيه.
(٨) العتيق أبو بكر.
(٩) الموم الشمع، اليعسوب أمير النحل.

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

أما الإمام فالأغر الهادي ... حامي عرينِ الحق والجهاد
العُمرانِ يأخذان عنه[1] ... والقمران نسختان منه[2]
أصلُ النبي المجتبَى وفرعُهُ ... ودينُه من بعده وشَرعُهُ
وصفحتاهُ مقبِلاً ومدبرَا ... وفي الوغا وحين يرقى المنبرا
يدنوا إلى ينبوعِه بيانا ... ويلتقي بحراهما أحيانا
الحجر الأول في البناء ... وأقرب الصحبِ بلا استثناءِ
وأزهدُ الناس وفي الدنيا يدُه ... وأخشع العالم وهو سيده
وجامعُ الآيات وهي شتى ... وسُدةُ القضاءِ بابُ الإفتا
والسُّهدُ الآوى إلى أشواقِه ... إذا الظلامُ مدّ من رواقه
بحرُ الهوى والقوم رُكْبُ السُّفنِ ... كم من شِراعٍ دون عِبريه فنى
يا ليت شعري والأمور تَخفى ... والفكرُ في هذا الطريق يحفَى
ما ساءَ هذا الناس من عَليٍّ ... وحاد بالناصرِ والوليِّ
وغرَّ بالليث الذئابَ العاويهْ ... وسهّل الغابَ على مُعاويه
قيل دم الشيخ الضعيفِ المُسلمِ[3] ... يطلبه الله وكلُّ مسلمِ
تركُ الإمامِ قاتلَ الإمامِ ... أخلّ بالهيْبة للزمامِ
وقيل بل أَدلَّ بالمكانه ... ولو تصورَ الخشوعِ كأنه
والزهوُ أحيانا من المعاني ... إن سال من معاطف الشُّجْعان
وقيل في سياسة الطباعِ ... وفي المداراة، قصيرُ الباع

لو صانع الإمامُ أو تأنّى … ما بلغ الشاميُّ ما تمنى[٤]

وقيل عِلمٌ ما له انتهاء … لم يَجرِ فيه الرأيُ والدهاءُ

في ثقةٍ بمن به لا يوثَقُ … ولا يدوم عهدُه والموْثِقُ

ونبذُ رأي الناصح المداحضِ[٥] … في قُحُم الأمر وفي المداحضِ[٦]

وقيل أخفى للثلاثة الحسدْ[٧] … وكادتِ الجيفةُ تأكلُ الأسد

لا بل هو المنازعُ التوّاقُ … طِلبتُه الأعباءُ والأطواقُ

سما إليها بعيونِ الفضلِ … وحنّتِ الحسناءُ تحت[٨] العَضْلِ

من كان في منزله الرفيعِ … يدرِ مكانَ مِنبَرِ الشفيعِ

وطالما استأخرَ غيرَ فاحمِ … ولاذَ بالحياءِ لم يُزاحمِ

يا جبلا تأْبى الجِبالُ ما حَملْ … ماذا رَمت عليك ربةُ الجمل[٩]

أثأرُ عثمانَ الذي شجاها … أم غُصةٌ لم يُنتزَعْ شَجاها

قضيةٌ مِن دمه تنبيها … هبّتْ لها واستنفرتْ بنيها[١٠]

ذلك فتقٌ لم يكن بالبال … كيدُ النساءِ مُوهِنُ الجبال

وإن أُمَّ المؤمنين لامرأه … وإن تَكُ الطاهرة المبرّأه

أَخرجها من كِنّها وسِنّها … ما لم يُزِلْ طولُ المدى من ضِغنها

وشر من عَداكَ من تقيه … ومُلقِيَ السلاح تلتقيه[١١]

جهزها طلحةٌ والزُّبيْرُ … ثلاثةٌ فيهم هدى وخير

صاحبةُ الهادي وصاحبَاهُ … فكيف يمضون لما يأباه؟

يا ليت شعري هل تعدوْا وبغوْا[١٢] … أم دمَ ذي النورين بالحق بَغوْا؟

جاءَت إلى العراق بالبنينا … قاضين حق الأم محسنينا

فانصدعتْ طائفتينِ البصرةْ … فريقُ خَذْلٍ وفريقُ نُصْرَهْ

أو ذادةُ البَيعةِ والذمامِ … وقادةُ الفتنة والزمام[١٣]

وانتهكَ الحيُّ دماءَ الحيِّ … من أجل ميت غابر وحيِّ

وجاءَ في الأسد أبو تُرابِ[١٤] … على متون الضُّمَّرِ العِراب[١٥]

يرجو لصَدعِ المؤمنين رأبا … وأمُّهم تدفَعُه وتأبى

وعجِزَ الرأيُ وأعيا الحلمُ … وخُطبتْ بالمُرْهَفاتِ السِلمُ

من كل يومٍ سافكِ الدماءِ … تعوذ منه الأرضُ بالسماءِ

تجردٌّ ذاتُ الطهرِ فيه عسكرا[١٦] ... وتَذمُر[١٧] الخيلَ وتُغرى العسكرا

ظل الخِطامُ من يدٍ إلى يدِ[١٨] ... كالتاج للأصيد بعد الأصيْدِ

مستلَما توهَى الغيوثُ دونَهْ ... وبالدماءِ أنهرًا يفدونه

حتى أراد الله إمساك الدم ... في كرمٍ لسيفه المقدّم

وظفرتْ ألويةُ الإمام ... وألقتِ البصرةُ بالزمام

فرُدّتِ الأم إلى مقرِّها ... مبالَغًا في نقلها وبِرّها

وظلَّلت مَن حلّ أرضَ الملحمةْ ... من الفريقين سماءُ المرحمةْ

هلكى بكى البيت عليهمْ والحرَمْ ... الموتُ دون العهدِ غايةُ الكرمْ

يا يوم صفَّين بمن قضاكا ... هل أنصف الجمعان إذ خَضَاكا

فيك انتهى بالفتنةِ التراقى ... واصطدم الشآمُ بالعراق

ونفدتْ بقيةٌ من صَحبِ ... تلقتِ الطعنَ يصدرٍ رَحبِ

بنو الظُّبَى، أبوّةُ الأسنّهْ ... آلُ الكتاب أولياءُ السُّنهْ

لقد وْفَى بدرٌ لهم أهلَّهْ ... وخنتَهمْ مَشيخَةً أجله[١٩]

لو في بناء المجد ذلك الدمُ ... بل عمدوا لما بَنَوْا فَهدَموا

فيا مجالاً قصرَ الأعنّهْ ... ومدّ في اشتجارِها الأسنّهْ

ترجرجتْ بالفئتين أرضهْ ... وضاق عنهم طولُهُ وعرضُه

ووقع الأنجاد بالأنجاد ... وخرّ «عمار» من النِّجادِ[٢٠]

ما كان ضرّ نصراء[٢١] البيعه ... لو صبَروا على الوغى سُويعهْ

بينا بنُودهم هي العوالي ... والنصرُ حولَ البيض والعوالي

غادرهُم بسحره معاويهْ ... كأنهم أعجازُ نخلِ خاويه

ألقى القا وشرع المصاحفا ... يَنْشُدُ بالله الخميس الزاحفا[٢٢]

فلا تسلْ عن فشلِ العزائمِ ... ولم يزل طليعة الهزائمِ

انقطع النّظمُ والانقيادُ ... وحكمتْ في الشُكُمِ الجياد

وافتيتَ في الرأي على الأعيان ... وهُدِّدَ الإمامُ بالعصيانِ

ما كان في قبوله التحكيما ... على علو رأيه، حكيما

لا يرفعُ المُصحفُ كالدفوفِ ... والسِّلمُ لا تُذكَرُ في الصفوف

ورأيه في الأشعريّ أعجبُ ... لله فيه قدَرٌ مُحجَّبُ[٢٣]

أين أبو موسى وأين عَمْرو؟ ... لا يستوي مجرّب وغمرُ[٢٤]
أمن دها قيصرَ والمقوقسَا ... كمن على مصحفه تقوّسا؟
قام فردّ الرجليْن ونزل ... وقام عمرو فأقرّ وعزل
أبي عليا وارتضى معاويه ... ونقَض المِنبرُ عَقد الزاويه
يَا زيْدَ[٢٥] كلِّ مُسرَج ومُلجَمِ ... كيف علا غُرتَك ابنُ ملجم[٢٦]
أصاب قَرنًا لا تُرامُ شمسُهُ ... أعيا على الأقرانِ دهرًا لمسهُ
بالمرهَفِ المسموم فِيما قد ذُكِرْ ... وكلّ شيءٍ قَتَلَ، الماضي الذكر
يا شُؤمَ سيفٍ قطع الصلاة ... واغتر ليثَ الغابة المِصْلاتا[٢٧]
ولم يك ابنُ ملجمٍ صُعلوكا ... بل غاليًا يقتحِمُ الملوكا
وضاريًا في دمه العُدوانُ ... لم يَخلُ من أمثاله أوانُ
وقال قومٌ ذاك مُسلِمٌ نقِمْ ... حكومةَ القرآنِ فهو منتقِمْ
قولٌ غدا عند النُّهَى مفروضًا ... لو صح راح العالمون فُوضَى
الـــ أيُ للأمةِ في الوُلاةِ ... وليس للغِضابِ والغُلاةِ
وقتلُكَ الإنسان غِيلةً شَنِعْ ... الجبنُ أن تَقْتُلَ من لا يمتنعْ
النفسُ لله وللنظامِ ... والدمُ إحْدَى الحُرَمِ[٢٨] العِظام
فكيف بالبغي على عَليّ ... الراشدِ المقرَّبِ الوليِّ؟
مالكَ والناسَ أبا ترابِ! ... ليس الذئابُ لك بالأتراب
هم طرّدوا الكليمَ[٢٩] كل مَطرَدِ ... وأتعبوا عَصاه بالتمرّدِ
وزُيِّنَ العِجلُ لهم لما ذهبْ ... وافتتَنوا بالسامَريِّ والذهبْ
وبابن مريمٍ[٣٠] وشَوْا ونمُّوا ... واحتشدوا لصَلبِهِ وهمّوا
وأخرجوا محمدًا من أرضه ... وسَرحتْ ألسنهُم في عِرضه
وغيّبوا المسوِّىَ الفاروقا[٣١] ... وخيرَ شمسيْهم لهم شروقًا
وذبحوا الشيخ[٣٢] على الفُرقانِ ... حتى بَكى الذِّكْرُ[٣٣] بدمعٍ قانِ
وهبّ منهم من لحقِّكَ اختلسْ ... وفَجِعوك بالصلاة في الغلسْ
وأشرقوا الحسينَ بالدماءِ[٣٤] ... ملوَّحًا بين عيون الماءِ
فاسمُ سموَّ الزاهدِ الحواري ... في درجات القرْبِ والجوارِ
إن زال مُلكُ الأرضِ عنك من مَلكْ ... يا طولَ ملكٍ في السماءِ تم لك!

هوامش

(١) العمران أبو بكر وعمر.
(٢) القمران الحسن والحسين.
(٣) عثمان.
(٤) الشامي معاوية.
(٥) أمحضت له النصح إذا أخلصته.
(٦) القحم الأمور العظام الشاقة، والمداحض المزالق لا تثبت عليها الأقدام.
(٧) الثلاثة الصديق وعمر وعثمان.
(٨) العضل حبس المرأة عن الزواج.
(٩) عائشة أم المؤمنين.
(١٠) قضية من دمه — أي دم عثمان.
(١١) أي شر من ظلمك من تلتقيه وأنت ملقي السلاح لا تشهره في وجهه ومن لا ترى بدا من تجنب إيذائه.
(١٢) يقول إن عائشة وطلحة والزبير جاروا وظلموا بخروجهم على عليّ.
(١٣) أي زمام الجمل الذي كانت تركبه عائشة.
(١٤) في الأسد: جيش علي، وأبو تراب كنيته.
(١٥) متون: ظهور، والضمر جمع ضامر، والضمر الهزال وهو ممدوح في الخيل، والعراب الخيل الكرام الخالصة من الهجنة.
(١٦) اسم الجمل الذي كانت تركبه عائشة.
(١٧) تذمر الخيل تحثها.
(١٨) الخطام: خطام الجمل.
(١٩) خانهم يوم صفين وهم شيوخ أجلة، وفي بدر لهم وهم شباب أهلة.
(٢٠) هو عمار بن ياسر وقد خر وهو يقاتل.
(٢١) نصراء البيعة أصحاب علي.
(٢٢) الجيش الهاجم.
(٢٣) هو أبو موسى الأشعري.
(٢٤) الغمر غير المجرب.
(٢٥) أي يا زيد الخيل.

(٢٦) هو عبد ا لرحمن بن ملجم المرادي، كان من أهل مصر وهو الذي قتل عليا بن أبي طالب. فقد اجتمع ملجم هذا، والبرك بن عبد الله، وعمرو بن بكر التميمي مع آخرين من الخوارج سنة أربعين وتحادثوا في أمر الناس وفيما هم فيه من الحروب والفتن والشحناء فتعاهد الثلاثة على أن يكفوا الناس عليا، ومعاوية، وعمر بن العاص، فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم عليا، ثم أقسموا بالله ألا يرجع أحد منهم عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دنه، فأخذوا أسيافهم فغمسوها في السم وذهب كل إلى غرضه. ومضى ابن ملجم حتى أتى الكوفة فالتقى فيها بجماعة من تيم الرباب — قتل منهم على يوم النهر عشرة — وفيهم امرأة يقال لها قطام — قتل علي أباها وأخاها يوم النهر أيضا — بارعة في الجمال، فلما رآها أذهلته فخطبها، فقالت له: لا أتزوجك حتى تشفيني. فقال وما يشفيك؟ قالت: ثلاثة آلاف، وعبد، وقينة، وقالت: علي. قال: هو لك مهر، أما علي فلم أرك ذكرته لي وأنت تريدينني، وقالت بل ألتمس غرته فإن أصبت شفيت نفسك ونفسي ويهنئك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير وأبقى. فقال لها: والله ما جئت هذا المصر إلا لذلك، ثم اختارت له مساعدا من قومها واختار هو مساعد آخر، فلما كانت ليلة الجمعة ١٥ من رمضان ترصدوا له حتى خرج يريد صلاة الصبح فضربه ابن ملجم في قرنه بالسيف وهو ينادي «الحكم لله لا لك يا علي ولا لأصحابك».

(٢٧) الماضي في الأمور، واغتره: أتاه على غرة.

(٢٨) أي النفس لله وللشرائع يحكم فيها.

(٢٩) موسى عليه السلام.

(٣٠) هو السيد المسيح

(٣١) هو عمر ابن الخطاب.

(٣٢) عثمان ابن عفان.

(٣٣) القرآن.

(٣٤) هو الحسين ابن علي وقد قتل ظمآن في كربلاء.

معاوية

في الدهر لم تصنع قيون الهندِ ... ولم يَسُلّ الشرق كابن هندِ

العبقريّ الملك الخليفه ... السعد كان أبدًا حليفه

ما زال بالحبال والعِصيِّ ... من سحره ففاز بالوصِّي

أرسل في حب الأمور الرسَنَا ... وفي هوى الدولة جافى الوَسَنا

حتى نعى عليًا النُّعاة ... فانقلبت ملوكًا الرعاةُ

وراقت الدنيا ورق الدينُ ... وانفجر التمصير والتمدينُ

وصيّر البيتَ سليبَ الحقِّ ... والآل من سيادة لرقِّ

قد نصَبَ الحِلْمُ لهم حبائلا ... ورُبَّ حِلمٍ جمع الغوائلا

وراضَ من شكائمِ الأباةِ ... بهيبةِ المُلْكِ وبالهِباتِ

فزالت الأخلاقُ والنِيَّاتُ ... وبذلتْ واديَها الحيّاتُ

وثَمَّ ما يسألُ عنه الله ... وصاحبُ الدين ومن تلاه

قطعُ نظام العهد في الإسلام ... وأخذُه البيعةَ للغلامِ

حتى علا التاجُ على العِمامهْ ... وعاد مُلْكًا نَسَقُ الإمامهْ

جنايةٌ أدركت الأجنّهْ ... ووقفتْ للدين في الأعنَّه

تحت هوى الآباءِ للأبناءِ ... حبُّ البقاءِ وقِلَى الفناءِ

تشبّثُ الوالدِ بالمولودِ ... يُسحَبُ من تَوهُّمِ الخلودِ

ارفع قواعدَ الفَخَار وابنِ ... لا تدّعمْ على أبٍ ولا ابنِ

لا يرفع الجذعُ عن الأرض الثمرْ ... ولا يحطُّ نسبُ الليل القمرْ

لا تعجبنّ من عظيمِ ما فَتَقْ　　واعجبْ له كيف تلافى ورتَقْ
ما كلُّ ذي حربٍ وذي لدادِ　　بجابر الوَهْي ولا سدّادِ
جوّ الولايات خلا لنَسرهِ　　واجتمع الأمر له بأسرِهِ
فلا تسلْ عن انبساط المُلْكِ　　ورفق رُبّانيِّه بالفلْكِ
الشرقُ تحته كخيرِ عهدِهِ　　والغرب يقضي ليلَه بسهدِهِ
مباركٌ لقومه في عُمرهِ　　ميمونة لهم معالي أمرهِ
ربِّ اعفُ عن جرأته عليكَ　　فالعفو منك والرضى إليكَ
لم يعلُ في العفو عليه كُفْو　　فأرِه كيف يكون العفو

عَمرو بن العَاص

ما بالُ قصرِ الشمعِ لا يُضاءُ؟ … هبَّ على مصباحه القضاءُ

لا فِتيةُ الرومان في بُروجه … ولا غوانيهمْ على مروجِهِ

ولا الليالي حوله أعراسُ … وفوقه وتحته أحراسُ

وما لبابليون من بَعد العجمْ … أسمتْ رجامًا في نواحيه الأجمْ؟

لم تُغنِ عنه رفعةُ الأسوارِ … ولا جثومُ الأسد الأسوارِ[1]

وأين في أفقيْهما[2] فسطاطُ … للنجم عن سُدّتِه انحطاطُ

قد ألقيا إليه بالمَقالدِ … وخرجا من طارفٍ وتالدِ

سُرادقٌ ينفذُ حُكمُ ربّهِ … من منبع النيل إلى مَصبّهِ

أوى إلى أطنابه اليمامُ … لأنها الرحمةُ والغمامُ

وأَمِنَ الأعزلُ فيه الشاكي … وحذر المشكوّ صوت الشاكي

خفّتْ به القبابُ والخيامُ … وسالمتْ ضاربَه الأيامُ

لم يبق من ذلك إلا مَسجِدُ … عالٍ على باع الخطوب مُنجِدُ[3]

كالكعبة الرفيعةِ الدعامِ … ما حُجَّ إلا مرةً في العامِ

إن كل لم يَعلُ عُلوّ الهيكلِ … وليس بالملوّنِ المُشكَّلِ

لقد تردّى حُلَلَ الجلالِ … بالبانَيْين الحقِّ والحلالِ

أميرُ كلِّ هيكلٍ ومعْبدِ … فاتهما بالسؤدد المؤبّدِ

نسّى الديانات بمصر قَبلَهْ … ولا يزال للقلوب قِبْلَهْ

إسلامُه وخالدًا في آنِ … حلّ على الشِّرك به رُزءان

السيف والرأي بيوم أَجْمَعَا   واستأذنا على محمدٍ معَا
فانقلب الحق بهذا فرددا[٤]   وعاد هذا بالهدى مُسدّدا
بالفتحيْن بُشِّر الإسلامُ   واستقبلت آمالَها الأعلامُ
كلاهما كان رِضى النبوّه   لم تَشكُ كَلَّه ولا نُبُوّهْ[٥]
وباز من صاد وسهمُ مَن رمى   من الهُداةِ الراشدين الكُرَما
ما ضرّ عَمْرًا مُنضِجَ الهواجرِ   إن كان لم يَنصُرْ ولم يُهاجِرِ
كم هجرَ النومَ أبو محمدِ   واكتحل العِثْيَرَ بعد الإثْمَدِ
عَمرُو القنا والرأي والجدودِ   رمى به الفاروقُ في الحدودِ
على فلسطينَ حَمَى الراياتِ   وحملَ الخيلَ على الغاياتِ
إذا المَضيقُ لم يجد مَضاءَ   للسيف، قام رأيُه فضاءَ
حتى حوى لعُمَرَ الإقليما   وحاز للإسلام أورشليما
فتحٌ تولَّى صَكَّه الإمام   وأخِذَ الميثاق والزمام
يا صخرةَ الله اشهدي أن عُمَرْ   أبرُّ من نهى وأوْفَى مَن أمرْ
سما إلى مصرَ بطَرْفٍ وطمَحْ   ولم يزل بعمَرٍ حتى سمحْ
وجّهه فهبَّ والغزاةَ   كما أطار الصُّيِّد[٦] البزاةَ
يطوى بهم طابخةَ الركائبِ   آكلة البعوث والكتائب[٧]
أنعاكِ أم أسقيك من بَيْدَاءَ؟   كانت داوءً أبدا وداءَ
ماذا دهى مصرَ من الطواري   ولقيتْ من ذلك الجِوارِ
كم رَعتها بداهمٍ جرّافِ   وآفةُ الجسم من الأطرافِ
وربّ جلادٍ على جلادِ   سَلَّطتِ وَيلَين على البلاد[٨]
كم عصفتْ منكِ السوافي الهوجُ   وهبّتِ الحاصبةُ السيهوجُ[٩]
وكم بعثتِ بالمبشِّرَاتِ[١٠]   على موت الحق منشراتِ
وكنتِ إن أسلتِ رائدينا   طويتِ دِينًا ونشرت دينا
شُرِّفتِ بالعذراءِ والمهاجِرِ[١١]   والخليل آيبا بهاجَر
وسيق فيك يوسف جليبا   فلقِيَ التمليكَ والتغليبا
ووطِئت بساطَك الأسباطُ   وانتظم الشملُ والاغتباطُ
وخُزتِ موسى جائِلاً وجائبا   يستقبلُ الآياتِ والعجائبا

ومُصبِحًا بقَفرةٍ ومَجهلِ ومُمسيًا بربوةٍ ومَنهلِ
وطالِعًا مخارمَ الجبالِ وقابسَ النور على الأقبالِ[١٢]
ترمين أرضَ النيل عن قوس الفَلَكْ يوما بشيطانٍ ويوما بمَلكْ
تهدين نورًا تارةً ونارا والطامس المنارِ والمنارا
حتى مشتْ كتيبةُ الحواري عليك كالأنواءِ والأنوار[١٣]
وما النجومُ الزّهْرُ حَفّتْ بالقمرْ أروع من عَمرو على خيل عُمَرْ
ولاقنا الأسباط[١٤] حول يُوشَعا أعفَّ من قناهما وأخشعا
كتيبةٌ قليلةُ العديدِ كثيرة بدِينها الجديدِ
طوتْ إلى مصرَ القفارَ طيًّا وركبتْ رياحَها مَطيًّا
فبلغ العُمْرانَ عمرو فرمى بجمعه الروم حِيال الفَرَمَا[١٥]
تسلقوا حصونَها تَسَلَّقا واقتحموا ما رِدَها والأبلقا
واخترقوا التخومَ والحدودا سبحان من يُداول الجدودا
وروودتْ بلبيسُ حتى أذعنتْ ورُكبتْ بالمسلمين إذ عنتْ
ترجّل الحماة عن حصونها ونزل الأُباة عن مَصونها
وظلَّتِ الخيلُ تجوب الوادي أندى على الريف من الفوادي
يسيرُ في رُخائها الملاح ولا يحسُّ وطْأها الفلاح
حتى بدت منازل الرومانِ ساهرةَ الخَطِّيِّ[١٦] واليماني
في حضنِ حِصنٍ أو ذَرَا لواءِ بعيدَي المَصْعَدِ في الجِواءِ
فنزلوا سوادَ عينِ شمسِ وِسادهم رِحالهم كأمسِ
وجثموا إلا عيونا ساميه تجسُّ حصنًا أو تجوس حاميهْ
فخرج الرومانُ للقتالِ في جحفلٍ مدجَّج مُختالِ
رحى الوغى بمثله تدور وقطبها في قلبه (تِيدور)
ليس لَعمرٍو ما له من كثرهْ وخوذةٍ وشِكَّةٍ ونثرهْ
فاقعد الغازي له الكمينا وأخذ الشِّمالَ واليمينا
يومٌ عليه بنيتْ أيام لأمةٍ جدودها قيام
من يصطبْر للصدمة الأولى يَسُدْ لا يصلح الفَلُّ[١٧] ولو كانوا الأسُدْ
بباب أليونَ تيودور اعتصمْ فيمن وَهَى من الصفوف وانفصمْ

وجــيء بــالأمــدادِ والــســوادِ … من شحنةِ الروم وقِبطِ الوادي
وظن أن الحصنَ مُعجز العربْ … فما لهم غير النكوص مُضطَربْ
فــإن أبــوْا أدّبــهــم بــيــومِ … مـا بـعـده قـائـمـةٌ لـلـقـومَ
فـوردتْ كـتـيـبـة الـزُّبـيْـرِ … وعُـمَـرٌ مـصـدرُ كـلِّ خـيـرِ
وظـل بـابـلـيـون وهـو عـاصِ … على الزبيْرِ وعلى ابن العاص
حـتـى تـسـوّرَ الـزبـيـر سـورَه … واغـتـرّ فـي وكُـونـهـا نُـسـورَه
مـشـى عـلـى نـاقـوسِـه مـكـبِّـرا … يـا لـكَ نـاقـوسًـا أحـيـلَ مِـنـبَـرا
أوفَـى عـلـى الـقـوم فـريـعَ الـبـرج … بـفـارسٍ لـه الـسـمـاءُ سَـرْجُ
صوتٌ هفا في الحصن بالعزائمِ … كـنـبْـأةٍ فـي جـوف أيْـكٍ نـائـمِ
فـضـاع رشـد الـروم والـصـواب … وفُـتـحـتْ مـن نـفـسـهـا الأبـوابُ
تـبـارك الـلـه وجـلَّـتِ الـعـربْ … لم يثَنِهم جوٌّ ولم يَعُقْ سَرَبْ
من فتح بلبيسَ لعين شمسِ … لا يُصبِحُ الضيغَمُ حيث يُمسِي
وركب[١٨] العِلْج العصا[١٩] بمن معهْ … إلا قـلـيـلا غـودروا فـي الـمـعـمـهْ
يـبـغـي دمـنـهـورَ بـهـم فـجـاءهـا … فـي مَـدَد قـد مـلأوا أرْجـاءَهـا
وإذا عـلـي آثـاره خـيـل الـعـربْ … وخـيـلـه مـن هـرب إلـى هـربْ
بـعـد قـتـالٍ جـال فـيـه الـروم … وطـاح أبـطـالـهـمـو الـقـروم
وانـدفـعـت خـيـل الإمـام تـعـدو … ويقدمُها اليمن ويحدو السعد
حـتـى بـدا الـثـغـر فـودّتْ قُـبـلـهْ … كما اشتهى العبْسيُّ[٢٠] ثغرَ عَبلَهْ
ورابـطـتْ فـجـرّتِ الأرسـانـا … والـتـفـتـت تـعـاتـب الـفـرسـانـا
وطـيـفَ بـالـثـغـرِ فـلا ثـنـيَّـهْ … إلا عـلـيـهـا رَصَـد الـمـنـيّـهْ
فكيف لا يودِي برشد قيصرا … أو بـصـواب قـومـه أن تـحـصَـرا
أقـامـهـمْ سـقـوطـهـا وأقـعـدا … وزعـمـوه فـوق طـاقـة الـعِـدا
وكـان فـي الإسـكـنـدريـة الـمـلا … أمـلـكَ فـي سـلـطـانـهـم وأكـمـلا
جموعهمْ في ساحها بلا عَدَدْ … والـبـحـر يـغـدو ويـروح بـالـمدَدْ
ومن أصاب البحرَ في سلطانِه … عدّ جميعَ الأرض من أوطانِهِ
تـقـضَّـتِ الأيـام والـشـهـور … والسيف في غير وغًى مشهور
يـفـتـرُّ عن لألائه فـم الـجُـمَـعْ … وتـحـتـهـا لـلـثـغـر خـوفٌ وطـمـعْ

وربـه يـسـتـنـزل الـرومـانـا ويـعـرض الإصـلاحَ والأمـانـا
حـتـى أُعـيـنَ رَجُـل الإمـامِ بـرَجـل الـقـيـاصـر الـهـمـامِ[21]
وفُـتـحـت مـديـنـة الإسـكـنـدر صُـلـحًـا وصفوًا ليس بـالمُـكدَّرِ
تـأخَّـر الـسـيـف وشـارط الـنـدى يـا غَـبـن مـن يُـشـارط الـمُـهـنـدا
فقيل راعـي الـمسلمين الوالي وكـان فـي الـسـرِّ لـهـم يُـوالـي
وقـيـل بـل ذو مـأربٍ أرادَا بـسُـلـطـة الـكـنـيـسـةِ انـفـرادا
وكان في فَروق سلطان البِيعَ تعنوا له في سائر الأرض الشِّيَعْ
حـكـم جـفـاه الاعـتـدال وقـسـا إنـي أراهـم ظـلـمـوا الـمُـقـوقَـسـا
لـعـلـه تـبـيّـن الـحـقـائـقـا وذاد عـن مـصـرَ بـلاءً حـائـقـا
ووجـد الـرومـان والـقـيـاصـرا لا يَـمـلـكـون فـي الـبـلاد نـاصـرا
يـرونـهـا الـعـنـف والاسـتـكـبـارا ولا تُـحـبُّ الأمـمُ الـجـبّـارا
مما مضى الدهر عليه والأوَلْ أن الـنـجـاحَ لـفـتِـيّـات الـدُّوَلْ

هوامش

(١) الوثاب.

(٢) ضمير راجع لقصر الشمع وحصن بابليون.

(٣) مرتفع

(٤) أي سيفا ماضيا.

(٥) كل السيف لم يقطع، ونبا عن الضربة ارتد عنها.

(٦) جمع صائد والبزاة جمع باز.

(٧) إشارة إلى الصحراء.

(٨) أي رب غاز فاتح رميت على وادي النيل فجأة غاز آخر من الجيوش المغيرة بخرجه فكانا ويلين على البلاد.

(٩) السيهوج من الرياح الشديدة.

(١٠) المبشرات الرياح الطيبة، إشارة على الذين دخلوا مصر من الصحراء من الرسل والحواريين.

(١١) عيسى إذ هو طفل.

(١٢) المرتفعات من الأرض.

(١٣) الأنواء الأزهار والأنوار الأضواء.

(١٤) الأسباط من اليهود كالقبائل من العرب.

(١٥) موضع من الحدود كان محصنا.

(١٦) الرمح والسيف.

(١٧) بقية الجيش المنهزم.

(١٨) كل عظيم من الروم.

(١٩) ركب العصا أي هرب، من المثل المشهور: فاز من ركب العصا، والعصا فرس لها قصة.

(٢٠) عنترة المشهور وعبلة حبيبته.

(٢١) هو المقوقس عظيم القبط يوم ذاك.

خالد بن الوليد

مَن طَبع السيفَ ومن جلاهُ؟   هل يصنُع الآياتِ إلا الله؟
إنْسُ الحديد، بَشَرُ الفِرنْدِ   ليس بصنع يمنٍ أو هندِ
وكيف لا يَصحبه المَضاءُ   وقينُه المقدارُ والقضاءُ
قُلِّدَه من ربّه محمَّد   يُسلُّه بإذنه ويغمِدُ
خْلِقتُ لا أعظِّمُ السيوفا   إلا الشريفَ العاليَ العَيوفا
المفتدى بحده من مظلمهْ   والمهتدَى بنوره في المُظلِمهْ
والناصرُ الحقَّ على المُقاتلِ   والضاربُ الباطلَ في المقاتلِ
والرافعُ الدُّولاتِ ركنًا ركنا   بالحق بنيانَ الخليل الرُّكنا
كابن الوليد مَوْئِلِ الأعلامِ   سيف الإله أسد الإسلامِ
طلَّقَ جاهلّيةَ المعاصي   ودخل الإسلامَ وابنَ العاصِ
كلا العظيمين فتى قريش   صدرُ نضدِيٍّ، ولواءُ جيشِ
تخيّر السمحةَ غيرَ دار   ما خلفها من عجب الأقدار
من نِعمَ تترَى وعيشٍ مُرغَدِ   وشأنٍ اليوم وذِكرٍ في غدِ
سبحانَ ربّي مُنشئ النوابغِ   مَرتجِل المواهب السوابغِ
هل خالدٌ إلا فتى من فِهْرِ   لم يشتهرْ بصوْلةٍ وقهر
مَنزلةٌ في غالب عَليّهْ   وشِيمٌ تقطر جاهليّه
زهوُ الصناديدِ بني الجِلادِ[1]   ونفخةٌ بالقوم والميلاد
نفسٌ غذْتها الجاهليةُ الدّما   وأرضعتها جرأةً ومقدَما

ونُـهـيـةٌ كـالـجـوهـر الـوقـادِ لـم تـبـد لـلـصـائـغ والـنَّـقَّـادِ
فـكـان مـن عـنـايـة الـسـلامِ بـه اكـتـسـابُ أدبِ الإســلامِ
إذا كـان فـي دولـتـه مـجـال فـيـه جَـلـتْ أسـرارَهَـا الـرجـالُ
لابد لـلعـقل الـكبير من وسطْ ولـلـشـعـاع من مدى ومُـنبسَطْ
ربَّ هـبـاتٍ ذهـبـت هَـبـاءَ كـمـا أتـى بـهـا الـترابُ بـاءَ
مـوفَّـق الآراءِ والـرايـاتِ مـعـلَّـقُ الـهـمـة بـالـغـايـاتِ
إذا غـزا عـن الـنـبـيّ أو سَـفـرْ اقـترحَ الـنجْحُ عـلـيه والظَّفـرْ
سـمَّـاه سـيـفَ الـلـه مـؤنَـهْ مُـعـظِّـمًـا فـي الآخِـريـن شـأنَـهْ
فما مضى في موطِنٍ أو همّا إلا وكـان اسمًـا عـلـى مُـسَـمَّـى
ألـيـس كـافِـيَ الإمـام الـشـدّهْ وقـامـعَ الـفـتـنـةِ يـومَ الـرِّدَّهْ؟
وقـاتـلَ الـكذَّابِ[2] في المـعـاركِ وكـلِّ أفَّـاكٍ لـه مـشـارِكِ
أيـامـه مـشـهـورةٌ فـي فـارسِ مسطورة في صحف الفوارسِ
خـاض بـهـا الـوقـائـعَ الـكـبـارا وفـتـح الـحـيـرةَ والأنـبـارا
واحـتـاجـتِ الـشـام إلـى هـمـامِ أروع يـحـمـى عـسـكـر الإمـام
يقحُمها على جموع الرومِ ويـنـثـنـي بـفـتـحـهـا الـمـروم
وهـي تـمـوج بـجـمـوع قـيـصـرا وعـالَـمٍ مـن عـربـس تـنـصّـرا
قـبـائـلٌ فـؤادهـا مـوَزَّع دينٌ هـو الـغـالـي وعِرْقٌ ينـزِعُ
فـلـم تـقـعْ إلا عـلـيـه الـخـيـرهْ إن الـرجـال أفـضـلُ الـذخـيـرهْ
فـخـفّ لـلـغِـيـاث فـي لـيـوثِ صـحـابـةٍ أهِـلَّـةٍ غـيـوثِ
خـلَّـى الـعـراقَ وتـولَّـى الـشـامـا نجمًا لأهوال السرى جشَّـامـا
يـقـطـع غُـفْـلا ويـجـوب بـائـرا إن الـمُـغـيـث مـن أتـاك طـائـرا
فكان في السَّماوة[3] الرئبالا لا تـذكـر الألـبَ وأنِّـيـبـالا
تـخِـفـق فـوق رأسـه الـعـقـاب[4] فـي مَـهـمـهٍ تُـنـكـره الـعـقـاب
حتى حوى الجيش القرى فصارا بـيـن ديـار الـعـرب الـنـصـارى
أحـراس تـخـمٍ وحُـمـاة حـدٍّ وحـاطـة الأطـراف مـن تـعـدِّ
سـل تـدمـرا والـقـريـتـين وأركْ هل ثبتوا لخالد في معتَركْ
وسلْ به غسّانَ كيف صُبِّحوا بالخيل جاءت من بعيد تضبَح

هبّتْ على الشام قبولاً ريدهْ[5] فاستروحَ الغوثَ أبو عَبْيدَهْ
أوفتْ على اليرموك تَطغَى من يا مأتمَ الروم ويا عرْس العرب!
طربْ أقبل سيف الله يزجى خيلَهْ ويلَ هِرَقْلٍ منه ثم ويلَه!
وأمرَّ الجيش عليهم خالدا وانتظروا اليومَ العظيم الخالدا
فعُبِّيءَ الحزبان للطامِ طامٍ يعِبُّ لنزال طامِ
تراءيا على تفاوتِ الفئهْ ذا مئتا ألفٍ وذا نصفُ المئهْ
ونشبت جائحة[6] الدهورِ عدوةُ القاهر والمقهورِ
فداهمَ الرومَ الرَّعيل المسلمِ إن العتيق[7] بالعِتاق أعلَم
واخترق الهيجاءَ فرسان العجمْ تحت سروج الخيل أو فوق اللُّجمْ
أما الرُّجالَى[8] فاحتموا في الخندقِ ليلاً فمُسُّوا بالبلاءِ المحدِقِ
يومٌ كبدرٍ في الفتوحِ منزلَهْ أمسَى هِرَقلٌ بعده لا عزَّ لَهْ
لما رأى سلطانه تداعى صاح الوداعَ سوريا الوداعا

هوامش

(١) الجلاد القتال.
(٢) مسيلمة وكان ادعى النبوة بعد موت رسول الله.
(٣) مفازة مشهورة بين العراق والشام اختارها خالد بن الوليد فكان عملا عظيما له شأن في تاريخ الحروب.
(٤) العقاب الأولى راية الرسول والثانية الطائر المعروف.
(٥) أي هبت الأمداد هبوب الريح اللينة فوجد أبو عبيدة ريح الغوث والنجدة.
(٦) أي نادرة الدهور، وهي الحروب.
(٧) أبو بكر، أي هو أعلم باختيار الخيل.
(٨) جمع راجل وهو في الحرب خلاف الفارس.

دولة بني أميَّة

علمت أن السيفَ بناءَ الدوَلْ ... وركنُها في الآخرين والأوَل

ما زال في الممالك الأساسا ... به بناها مَن بني وساسا

يَقصِر حبلَ الملكِ أو يمدُّه ... ما رسمَ الحدودَ إلا حدُّه

لم يَبنِ للفرس ولا الرومانِ ... حائطَ ملكيْها سوى اليماني

وأيُّ دينٍ بسوى السيف انتشرْ ... كم أيّدت بالسيف أديان البِشرْ

لم يغنِ داعي الحقِّ والفلاحِ ... عنها وأغنتْ صَلَّة السلاحِ

فلا تقولَنَّ بغتْ مَرْوانُ ... ووطَّأ الملكَ لها العدوانُ

كذاك قبل كانت الممالك ... وبعد لم تختلف المسالكُ

تنال بالقوة مبتغاها ... وإنما أذهبُها أبغاها

في الشرق والغربِ بنَتْ أميَّهْ ... سطلنةَ ليس لها سميَّهْ

خلاقةٌ على البسطةِ احتوتْ ... شرقَ الثرى حازت وغَرْبَه حوتْ

حيزتِ بجُند الجِيَل المجنَّدِ ... وأحرزتْ بالرأي والمُهنّدِ

احتازها من الجريء القُلَّبُ ... وغلَب الليثَ عليها الثعلبُ

بنيان قطب الملكِ والرياسهْ ... داهية الأمور والسياسه

ونالها من آله ملوك ... تفاوتوا واختلف السلوك

فمنهمو الدرُّ ومنهمو الحصا ... ومَن هو السيف ومَن هو العصا

خليفة بَرَّ وآخر فَجَرْ ... ذا حَجر[1] الأرض وذا بعض الحجرْ

ما تلك إلا دولةُ الزمانِ ... حلَّتْ محلَّ دولة الرومانِ

مـن الـطِّـراز الـعـربـيِّ الأوَّلِ — علـى الـدخـيـلِ قـطُّ لـم تـعـوِّلِ
لـم تـعـتـمدْ علـى عـقـول فـارس — ولا سـيـوف الـدّيـلَـمِ الـفـوارسِ
كالشمس في الشرق زَهتْ ضُحاها — والـغـرب لا يـخـرج عـن رُحـاهـا
تـقـلَّـبَ الإسـلام فـي رَخـائِـهـا — وجَـرَتِ الآمـال فـي رِحـائـهـا
وزخـرتْ بـالـعـلـم والـبـيـان — وأخـرجـتْ فـرائـدَ الأعـيـانِ
حـاز لـواءَ الـشـعـر فـيـهـا الزَّردَق[٢] — جـريـر والأخـطـل والـفـرزدق
وما رأي المنبرُ من عِطْفَى مَلك — كابن أبي سفيانَ أو عبدِ الملكْ
أو كـزيـادٍ خـطـبـةً إذا انـبـرى — والـثـقـفـيِّ[٣] حـيـن يـرقـى المـنـبـرا
ورزقـتْ أربـابَ سـيـفٍ قـادهْ — أعـطـتـهـموا الـمـمـالكُ المـقـادهْ
فـنـابـهـا الـمـهـلَّب الـغـضـنـفـرُ — وغـابـهـا قـتـيـبَـة الـمـظـفَّـرُ
سل ثَبَجَ البحـر وعرضَ البرِّ — عن طول باع الفاتحين الغُرِّ
ابـنِ نُـصـيْـرٍ مـرسِـلِ الـبُـزاةِ — والـحَـكَـمِ الـحـاكـم فـي الـغـزاة
أمـا دمـشـقُ فـمـقـرُّ الـمُـلـكِ — ومـقـعـدُ الـتـاج ونَـظـمُ الـسـلـكِ
بل شامةٌ والشامُ وجنةُ الثرى — تَـرِفُّ فـردوسًـا وتـجـري كـوْثـرا
مـهـدُ مـعـالـي مُـلـكِـهـمْ وأُسُّـهـا — لا عـجـبٌ أن يـرفـعـوهـا لـلـسُّـهـا
ظـلَّـتْ عـلـى أيـامـهـم تَـزيّـدُ — تـعـمـرُهـا يـدٌ وتـكـسـوهـا يـدُ
وتُـزلَـفُ الـدنـيـا لـهـا وتُـجـبَـى — ويـنـثـنـي بـهـا الـزمـانُ عُـجْـبَـا
حـتـى جـلـتـهـا دَولـةُ الـولـيـد — فـي أزيـنِ الـطـريـفِ والـتـلـيـدِ
وكَـمـلـتْ مـحـاسـنُ الـعـروسِ — وعُـوِّذتْ بـالـجـامـع الـمـحـروسِ
تـأنَّـقـتْ يـدُ الـولـيـد فـيـهـا — واسـتَـبـقَـتْ أكـفُّ مُـتـرَفـيـهـا
فـأصـبـحـتْ حـديـقـةَ الـفـنـونِ — وهـيـكـلا مـن مَـرمـر مـسـنـونِ
تـفـيـضُ مـن عـجـائـب الـعِـمـارة — وحُـجَـرِ الـصـلاة والإمـارةْ
ثـم هـوى أقـمـارُهـا وأبـعـدوا — فـحـلـفـتْ بـعـدَهـمـو لا تـسـعَـد
رمـتْ يـدُ الـدهـر بـنـي مـروانـا — إن لـكـلِّ مـصـرعٍ أوانـا
فـذهـبـوا عـن حـسـنـاتٍ تّـذكَـرُ — وسـيـئـات جـمّـةٍ لا تُـنـكَـرُ
أمـا الأمـورُ فـهـمـو دُهـاتُـهـا — دنـتْ ودانـتْ لـهـمـو جـهـاتُـهـا
وهـم عـلـى الأمـر الـعـظـيـم أصـبَـر — لا يـقـربـون الـيـأسَ حـتـى يُـقـبـروا

أقوى بيوت العرب التئاما وخيرُها بيتهموا وِئاما
شبّانُهم من طينةِ الأبالسِ وشيبُهم أنكَرُ في المجالس
إذا جروا لغايةٍ لم يحفِلوا ما المركبُ الأعلى ولا ما الأسفلُ
منهم من استحسن قتلَ الآلِ ولم يخفْ مساوئ المآلِ
ومن رمى الكعبةَ بالحجارهْ وذعر البيت وراع جارهْ
ومنهمو من مزّق الكتابا معاتبًا، يا قبحَه عتابًا!
عاقر غِلمانُهمو المُداما ولازموا القيان والنّدامَى
وانغمسوا في الشهوات والترفْ وأفسدوا شبّان أبناءِ الشرفْ
رَعوْا على اليقْظَةِ ثم ناموا فأصبحت للأسد الأغنامُ
جنى عليهم سَرَفُ الأُبُوّهْ وبَغيُهم على بني النبوّهْ
ونصبُهم للحُكم كل غاشِم جرتْ يداه في دماءِ هاشِم
ولعنُهم خُلاصةَ الأكابرِ أبا الزّكيّيْنِ، على المنابرِ
وغدرُهم بابن نصيْرٍ الوفى مُشيِّد الدولة في البرّ وَفِى
أمسوْا حماهم حرمُ الأمانِ وأصبحوا طريدة العزمَ ولا الحَميّهْ
مروانُ وهو منتهى أميّهْ لم يفقدِ العزمَ ولا الحَميّهْ
قاتلَ حتى خانه المجالُ وأسلمتْ دولتَها الرجالُ
والجندُ كالدنيا مع المُوفَّقِ أعوانُه على الشقيِّ المُخفِقِ
فلم يزلْ من بلدٍ إلى بلدْ بالنفس ينجو والنساءِ والولدْ
حتى رمى مصرَ به المصيرُ وهُيِّئتْ قبرًا له بوصيرُ
وآلُهُ بين مخالب الأسدْ ينتزعُ الروحَ ويهتِكُ الجسدْ
قد وطِئوا النّطوعَ لا النمارقا وطأطأوا للسائف المَفارقا
دنياهمو مسدودةُ المذاهبِ ودورُهم لواهبٍ أو ناهبِ
وحزبُهم ممتِنعُ الهُدُوِّ حثيثةٌ فيهم يدُ العدوِّ
حتى إذا قيل خلتْ مروانُ وذهب السلطانُ والأعوانُ
تلفتَ الناسُ وراعهمْ عَجَبْ الكوكبُ الشرقيُّ في الغرب احتجب
صقرُ قريٍ منعوه جِلَّقَا فطار في قرطُبةٍ وحَلَّقا
أنشأ مُلْكًا أمويًّا ضخما كمُلْك كسرى رُقَعةً وتَخْما

ودولـة قـصّـر عـنـهـا قـيـصـرُ   سـمـا بـهـا الـمُـمَـدَّنُ الـمـمـصـرُ
زهــراء فــي قــرطــبــةٍ تــألَّــقُ   بـغـدادُ مـنـهـا اقـتـبـسـتْ وجـلَّـقِ

هوامش

(١) حجر الأرض الرجل العظيم.
(٢) الزردق الصف.
(٣) الحجاج.

صقر قريش (عبد الرحمن الداخل)

موشح أندلسي

من لِنِضوٍ يتَنَزى[١] ألمَا … برح الشوقُ به في الغَلَسِ

حن للبانِ وناجَى العَلَما … أين شرقُ الأرضِ من أندلسِ

بلبلٌ علَّمه البينُ البيانْ … بات في حَبل الشجون ارْتَبكا

في سماءِ الليل مخلوعُ العِنانْ … ضاقت الأرضُ عليه شَبَكا

كلما استوحش في ظل الجنانْ … جُن فاستضحك من حيث بَكى

ارتدى بُرْنسَه والتَثَما … وخَطا خُطْوَةَ شيخٍ مُرْعَسِ[٢]

ويُرى ذا حَدَبٍ إن جَثما … فإن ارتَدَّ بدا ذاً قَعَسِ[٣]

فَمُه القاني على لَبَّته … كبقايا الدَّم في نَصْل دقيقْ

مَده فانشَق من مَنْبتِهِ … من رأى شِقَّيْ مَقَص من عقيقْ

وبكى شجْوًا على شُعْبته … شجْوَ ذات الثُّكل في السِّتر الرقيقْ

سَلَّ من فيه لسانا عَنَمَا[٤] … ماضِيًا في البَث لم يَحْتبِسِ

وتَرٌ من غير ضَرْب رَنما … في الدجى أو شررٌ من قبسَ

نَفَرت لوعتُه بعد الهُدوءْ … والدُّجى بيتُ الجَوى والبُرَحا

يتَعايا بجنَاح وينَوءْ … بجَناح مذ وهَي ما صَلحا

ساءه الدهرُ وما زال يسوءه … ما عليه لو أسَا ما جَرَحا

كـلَّـمـا أدمـى يـديـه نَـدَمـا سـالـتَـا مـن طـوْقـه والـبُـرنـس
فَـنـبِـتْ أهـدابـه إلا دَمَـا قـام كـالـيـاقـوت لـم يَـنْـبَـجِـسِ[٥]
مَـد فـي الـلـيـل أنِـيـنًـا وخَـفَـقْ خفقَان القُرط في جنْح الشَّعَرْ
فَـرغَـتْ مـنـه الـنـوى غـيـر رَمَـقْ فَضْلَـهَ الجُرح إذا الجرحُ نَغَـر[٦]
يـتـلاشـى نَـزَواتٍ فـي حُـرَقْ كـذبَـالٍ آخـرَ الـلـيـل اسـتـعـرْ
لـم يـكـن طـوْقًـا ولـكـن ضَـرَمـا مـا عـلـى لَـبَّـتـه مـن قَـبَـسِ
رحـمـةُ الـلـه لـه هـل عِـلـمـا أن تلك النفس من ذا الـنفسِ
قـلـت: لـلَّـيـل ولـلَّـيـل عَـوَادْ من أخـو البَذِ فقال: ابنُ فِراقْ
قلتُ: ما واديه، قال: الشجوُ وادْ ليس فيه من حجاز أو عِراق
قلتُ: لكن جفنه غير جوادْ قال: شر الدمع ما ليس يُراق
نَـغِـبط الـطَّـيـرَ ومـا نـعـلـم مـا هـي فـيـه مـن عـذابٍ بَـئِـسِ
فـدَعِ الـطَّـيـرَ وحـظًّـا قُـسِـمـا صَـيـر الأيـكَ كـدُور الأنـسِ
ناحَ إذ جَفناي في أسْر النجومْ رَسَفَا[٧] في السُّهد والدّمع طليقْ
أيها الصارخ من بحر الهمومْ ما عسى يُغنْي غريقٌ عن غريقْ
إن هذا السَّهمَ لي منه كُلُومْ كـلُّـنـا نـازحُ أيـكٍ وفـريـق
قـلِّـب الـدُّنـيـا تـجـدهـا قِـسَـمَـا صُـرِّفَـتْ مـن أنْـعـم أو أبْـؤسِ
وانْظرِ الناسَ تَجِدْ من سَلِما من سهام الدهر شجّته القِسِي
يا شبابَ الشرق عنوان الشَّباب ثمرات الحَسَب الزّاكي النَّميرْ
حَسبُكم في الكرم المَحض اللُّباب سِيرةٌ تَبقى بقاءَ ابنيْ سمير[٨]
في كتاب الفخر (للداخل[٩]) باب لم يَلجْه من بني المُلك أمير
في الشموس الزُّهرِ بالشام انتمي ونَـمـى الأقـمـارَ بـالأنـدلـس
قـعَـد الـشـرق عـلـيـهـم مـأتَـمـا وانثنى الغربُ بهم في عُرس
هـل كـلـم فـي نـبـأ خـيـر نَـبَـأْ حِلْـةِ الـتـاريـخ مـأثـور عـظـيـمْ
حل فـي الأنْبـاءِ مـا حلَّت سبأْ منزل الوُسطى من العقد النّظيم
مـثـلَـه الـمـقـدارُ يـومًـا مَـا خَـبَـأْ سـلـيـب الـتـاج والـعـرش كَظـيـم
يُـعـجـزُ الـقُـصّـاصَ إلا قـلَـمَـا في سوادٍ من هوى لم يُغمَسِ
يُـؤثـر الـصّـدق ويـجـزي عَـلَـمـا قـلَـب الـعـالَـمَ لـو لـم يُـطْـمَـس

عـن عِـصـامِـيّ نـبـيـل مُـعْـرِقِ فـي بُـناةِ الـمجد أبـناءِ الـفَخَار
نـهـضـتْ دولـتـهـم بـالـمـشـرقِ نهضة الشمس بأطراف النّهار
ثـم خـان الـتـاجُ وُدَّ الـمـفْـرَقِ ونَـبَـتْ بـالأنـجـم الـزُّهـر الـديـارْ
غفَلوا عن ساهرٍ حول الحِمى باسـطٍ مـن سـاعِـدَيْ مُـفـتَـرس
حام حول المهلك ثم اقتَحما ومشَى في الدم مشى الضَّرِسِ
ثـأرُ عـثـمـانَ لـمـروان مَـجَـازْ ودَمَ الـسِّـبْـط[١٠] أثـار الأقَـربُـونْ
حَسَّـنوا لـلـشـام ثـأرًا والـحـجـاز فتَغَالى الناسُ فيما يطلبونْ
مَكْرُ سُوَّاسٍ على الدَّهْمَاءِ جازْ ورُعَـاةٌ الـرَّعَـايـا يـلـعـبـون
جـعـلـوا الـحـقَّ لـبَـغْـيٍ سُـلَّـمـا فـهـو كـالـسِّـتـر لـهـم والـتُّـرُوسِ
وقـديـمـا بـاسـمـه قـدٍ ظَـلَـمـا كـلُّ ذي مِـئْـذَنَـةٍ أو جَـرَسِ
جُـزِيـتْ مـروانُ[١١] عـن آبـائـهـا مـا أراقـوا مـن دِمـاء ودمـوعْ
ومـن الـنَّـفـس ومـن أهـوائـهـا مـا يـؤدّيـه عـن الأصـل الـفـروع
خَـلَـتْ الأعـوادُ مـن أسـمـائـهـا وتـغـطَّـت بـالـمـصـالِـيـب الـجـذوع
ظَلَمتْ حتى أصابت أظْلَما[١٢] حاصدَ السيف وبِيءَ المَحْبِسِ
فِـطـنًـا فـي دعـوة الآلِ لِـمـا همَس الشَّاني وما لم يَهْمِسِ
لـبِـسـت بُـرْدَ الـنـبـيّ الـنَّـيِّـرات من بني العبّاس نورًا فوق نور
وقـديـمـا عـنـد مـروان تِـراثْ لـزَكـيّـاتٍ مـن الأنـفُـس نـور
فنَجا الدَّاخلُ سبْحًا بالفُرات تارك الفِتنةِ تَطْغى وتَنور[١٣]
غَسَّ[١٤] كالحوت به واقَتَحَما بـيـن عِـبْـريـه عـيـون الـحَـرَسِ
ولقد يُجدي الفتى أن يَعلَمَا صَـهْـوةَ الـمـاءِ ومَـتْـنَ الـفَـرَسِ
صـحِـب الـداخـلَ مـن إخـوتِـه حدثٌ خاض الغمار ابن ثَمانْ
غـلَـب الـمـوج عـلـى قـوَّتـه فكأن الموج من جُنْدِ الزِّمان
وإذا بـالـشّـط مـن شـقْـوتِـه صـائـحٌ صـاح بـه: نِـلـتَ الأمـان
فـانـثـنى مُـنْـخَـدِعًـا مُـسـتْـسْـلِـمـا شـاةٌ اغـتَّـرتْ بـعَـهـد الأطْـلَـسِ[١٥]
خضَب الجُند به الأرض دَما وقلوبُ الجُند كالصَّخر القَسِي
أيها اليائسُ مُتْ قبل المَمَاتْ أو إذا شـئـتَ حـيـاةً فـالـرّجـا
لا يَـضـقْ ذَرْعُـك عـنـد الأزَمـات إن هـي اشـتـدّت وأمِّـلْ فَـرَجـا

ذلك الـداخـلُ لاقـى مُـظـلـمـاتْ　　لم يكن يأْمل منها مَخْرَجا
قـد تـولَّـى عـزُّه وانـصـرمـا　　فـمضـى مـن غَـدهِ لـم يَـيأس
رام بـالـمـغـرب مُـلْـكًـا فـرمـى　　أبـعدَ الـغَـمْرِ وأقـصـى الـيَـبَسِ
ذاك والـلـه الـغـنـى كلُّ الـغِـنـى　　أيَّ صعبٍ في المعالي ما سَلَك
لـيـس بـالـسـائـل إن هـمّ مـتـى　　لا ولا الـناظرِ ما يُوحـي الـفَـلك
زايـل الـمُـلـك ذَوِيـه فـأتـى　　مُـلـكَ قـومٍ ضـيّـعـوه فـمـلـك
غَـمَـراتٌ عـارضَـت مُـقْـتَـحِـمـا　　عالِيَ النفس أشمَّ المعْطَسِ[١٦]
كلَّ أرضٍ حلَّ فـيـهـا أو حِـمـى　　منـزلُ البدرِ وغابُ البَيْهسِ[١٧]
نَزَل الـنَّـاجي على حُكْم الـنّوى　　وتَـوارى بـالـسُّـرى من طالـبـيهْ
غـيـرَ ذي رَحْـلٍ ولا زادٍ سـوى　　جـوهـرٍ وافـاه مـن بـيـت أبـيـه
قـمـرٌ لاقـى خـسـوفًـا فـانـزوى　　لـيـس مـن آبـائـه إلا نَـبِـيـه
لـم يَـجِـدْ أعـوانَـه والـخَـدمـا　　جـانـبوه غـيـرَ (بـدر) الـكـيِّسِ
مـن مَـوالـيـه الـثـقـات الـقـدَمـا　　لم يخنه في الزمان المُوئِسِ
حـيـن إفـريـقـيـا انـحـل الـوِئـامْ　　واضمحَّلت آيةُ الفتح الجَليل
مـاتـت الأمـة فـي غـيـر الـئـتـام　　وكـثـيـر لـيـس يـلـتـامُ قـلـيـلْ
يَـمَـنٌ سَـلَّـت ظُـبـاهـا والـشـآم　　شـامَـهـا[١٨] هـنـديـةً ذاتَ صـلـيـل
فـرَّق الـجـندَ الـغِـنـى فـانـقَـسَـمـا　　وغـدا بـيـنـهـم الـحـقُّ نـسِـى
أوحـشَ الـسـؤددُ فـيـهـم وسَـمـا　　لـلـمـعـالـى مـن بـه لـم تَـأنَـسِ
رُجِـمـوا بـالـعَـبـقـريِّ الـنَّـابـه　　البعيد الهِمَّةِ الصَّعْبِ القِياد
مـدَّ فـي الـفـتـح وفـي أطـنـابـه　　لم يَقف عند بِناءِ ابن زياد[١٩]
هـجـرَ الـصـيـد فـمـا يُـعْـنَـي بـه　　وهو بالملك رفيقٌ ذو اصطياد
سَـلْ بـه أنـدلـسـا هـل سَـلِـمـا　　من أخى صيد رفيق مَرِسِ[٢٠]
جِـرَّد الـسـيـفَ وهـزَّ الـقـلـمـا　　ورمـى بـالـرأي أُمَّ الْـخُـلَـسِ[٢١]
بـسـلام يـا شـراعـا مـا دَرَى　　مـا عـلـيـه مـن حَـيـاءٍ وسَـخَـاء
في جَناح المَلَك[٢٢] الرُّوح جَرى　　وبـريـح حـفـهـا الـلـطـفُ رُخـاء
غـسَـل الـيَـمُّ جِـراجَـاتِ الـثَّـرى　　ومحا الشِّدةَ من يمحو الرَّخاءَ
هـل دَرى أنـدلـس مـن قَـدِمـا　　دارَه من نـحـو بـيـت الـمَـقْـدِسِ

بسليل الأمَويّين سَما   فتحُ موسى مُسْتَقَرَّ الأسسِ
أمَويٌّ للعُلا رحَلتُه   والمعالي بَمطًّى وطُرُقْ
كالهلال انفردَت نُقْلته   لا يُجَاريه ركابٌ في الأفُق
بُنيت من خُلُق دُولُته   قد يَشيد الدُّوَلَ الشُّمَّ الخلقُ
وإذا الأخلاقُ كانت سُلَّما   نالت النّجم يَدُ المُلتَمِسِ
فارْقَ فيها تَرْق أسباب السَّما   وعلى ناصيةِ الشمس اجْلِسِ
أيَّ مُلْكٍ من بنايات الهِمَمْ   أسَّسَ الدّاخلُ في الغربِ وشاد
ذلك الناشئ في خيرِ الأمم   ساد في الأرض ولم يخلق يُساد
حكمت فيه الليالي وحَكَمْ   في عَواديها قِيادًا بِقياد
سُلِب العزَّ بشرقٍ فرَمى   جانبَ الغرب لعزّ أقعسِ
وإذا الخيرُ لعبدٍ قُسِما   سنَحَ السّعدُ له في النَّحَسِ
أيها القلب أحقُّ أنتَ جارْ   للذي كان على الدهر يجيرْ
ها هنا حلَّ به الرَّكب وسار   وهنا ثاو إلى البعث الأسير
فَلَكٌ بالسعد والنّحس مدارْ   صَراع الجامَ[٢٣]،ألْوى بالمُدير
ها هنا كنتَ ترى حُوَّ الدُّمَى   فاتناتٍ بالشِّفاه اللُّعُسِ[٢٤]
ناقلاتٍ في العَبير القَدَمَا   واطئاتٍ في حَبيرِ السُّنْدسِ
خُذْ عن الدّنيا بليغَ العِظةِ   قد تحلَّت في بِليغِ الكَلِم
طَرَفاها جمعا في لَفظةٍ   فتأمَّل طَرَفَيْها تَعْلم
كُلُّ ذي سِقْطَيْن[٢٥] في الجوّ سما   واقعٌ يومًا وإن لم يُغْرسِ
وسيلقى حَيْنه نَسر السما   يوم تطوى كالكتاب الدرسِ
أين يا واحدَ مروانَ عَلَمْ   من دعاك الصقر سَمَّاه العُقاب[٢٦]
رايةٌ صرَّفها الفَرْدُ العَلَم   عن وجوه النصر تصريفَ النقاب
كنت إن جرّدت سيفًا أو قَلَم   أبتَ بالألباب أو دِنْتَ الرِّقاب
ما رأى الناسُ سواه عَلَما   لم يُرَمْ في لُجّةٍ أو يَبسِ
أعلى رُكن السِّماك ادَّعَما   وتَغطَّى بجنَاح القُدُسِ
قصرُك (المُنية) من قُرطبةِ   فيه وارَوْك ولله المَصير
صَدَفٌ خُطَّ على جوهرةِ   بيد أن الدهر نَبَّاشٌ بصير

لم يدع ظلا لقصر (المنيةِ) وكذا عمر الأمانيِّ قصير
كنتَ صقرا قُرَشيًّا عَلَما ما على الصقر إذا لم يُرْمَسِ
إن تَسَلْ أين قبورُ العُظما فعلى الأفواه أو في الأنفُسِ
كم قبورٍ زينت جيدَ الثرى تحتها أنحسُ من مَيْتِ المجوس
كان مَن فيها وإن حازوا الثرى قبل موت الجسم أموات النفوس
وعظامٌ تَتَزَكَّى عنبرَا من ثناء صِرنَ أغفال الرموس
فاتخذ قبرَك من ذِكرٍ فما تَبنِ من محموده لا يُطْمَسِ
هَبْك من حِرص سكنت الهرما أين بانيه المنيعُ المَلْمَسِ

هوامش

(١) يتنزى: يتوثب.

(٢) المرعس من رعس الرجل: إذا مشى مشيا ضعيفا من الإعياء.

(٣) القعس ضد الحدب وهو نتوء المصدر.

(٤) العنم شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه البنان المخضوب.

(٥) لم ينبجس: لم يتفجر.

(٦) يقال جرح نغار أي جياش بالدم.

(٧) رسغًا: تقيدا.

(٨) ابني سمير: الليل والنهار.

(٩) هو عبد الرحمن الداخل أول ملوك بني أمية في الأندلس.

(١٠) يعني بالسبط الحسين بن علي صلوات الله عليه.

(١١) يعني بمروان: بني مروان.

(١٢) الأظلم هنا هو أبو مسلم الخراساني صاحب دعوة بني عباس وقد سلب بني أمية ملكهم.

(١٣) نارت الفتنة: وقعت وانتشرت.

(١٤) غس: دخل ومضى.

(١٥) الأطلس: الذئب.

(١٦) المعطس: الأنف.

(١٧) البيهس: الأسد.

(١٨) شام: سل.

(١٩) هو طارق بن زياد مولى موسى بن نصير فاتح الأندلس في عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي.

(٢٠) المرس: الشديد المجرب في الحروب، يقال: إنه لمرس حذر.

(٢١) الخلس: جمع خلسة وهي الفرصة.

(٢٢) الملك الروح: جبريل.

(٢٣) الجام: الكأس.

(٢٤) اللعس: سواد مستحسن في الشفة.

(٢٥) السقط: جناح الطير.

(٢٦) العقاب: اسم راية الداخل.

خلافة عبد الله بن الزبير

خـلـيـقـةٌ مـا جـاءَ حـتـى ذهـبـا ... ضـاع عـلـيـه الـدمُ والـمـال هـبـا

الـصـاحـبُ ابـنُ الـصـاحـب الـكـريـمِ ... الـجـلـلُ الـمَـطـلَـبِ والـغـريـمِ

ابـنـث الـزبـيـر وكـفـى تـعـريـفـا ... إن الـشـريـفَ يـلـدُ الـشـريـفـا

أبـوه هَـضْـبـةُ الـعـلا الـشَـمـاءُ ... وأمـه فـي الـشـرف الـسـمـاءُ

مـسـتـقـبِـلُ الأيـامِ بـالـصـيـامِ ... ومُـتـعـبُ الـظـلام بـالـقـيـامِ

وأخـوَفُ الـنـاس إلا الـلـيـلُ دجـا ... وأشـجـعُ الـنـاس إذا تـدجَّـجـا

وأطـهـرُ الـمـعـاهـديـن ذِمَّـهْ ... وأكـبـرُ الـمـجـاهـديـن هِـمـهْ

وثـبًـا مـن الـخـوارج الـشـدادِ ... إلـى بـنـي أمـيـة الـلـدادِ

إلـى مـداراة بـنـي الـعـبـاس ... والـعَـلـويـيـن الـشـدادِ الـبـاس

فانتظمتْ أهلَ الحِجاز بيْعتُهْ ... واحتكمت في البصرتين شِيعتُهْ

ودخـل الـعـراقُ فـي وَلائِـهِ ... وخـرجـتْ مـصـرُ عـلـى أعـدائِـه

فـضـاق مَـرْوانُ بـه ذراعـا ... وانـخـرعـت قـدرتـه انـخـراعـا

بابن الزبير لا يقاس ابن الحَكَمْ ... لا ترفعُ الأحكامُ كلَّ من حكمْ

لا يـسـتـوي مَـن عُـمـرَه تـحـنَّـفـا ... ومَـن رسـولُ الـلـه أقـصـى ونـفـى

مـروانُ لـيـس لـلأمـور صـاحـبَـا ... وإن غـدت لـذيـلِـه مـسـاحـبـا

جـر عـلـى عـثـمـانَ مـا قـد جـرَّا ... أراد أن يـنـفـعَـه فـضـرّا

رب عـدوٍّ عـاقـلٍ أشـكـاكـا ... ورب ودٍّ جـاهـلٍ أبـكـاكـا

لـكـنـه أبـو الـنـجـوم الـزُّهْـرِ ... مـصـابِـحَ الأمـر مُـلـوكِ الـدهـر

حدِّثْ إذا باهى الملوكُ بالولدْ ... عن حَجَر الأرض وبيضةِ البلدْ

يدنو بنو المنصور من أبنائِه ... في الرفق بالملكِ وفي بنائِه

ما كسليمانَ ولا عبد الملكْ ... ولا الوليد عاهلٌ ولا مَلِكْ

لما أتى ابنَ الحَكَمِ الحِمامُ ... آل لعبد الملك الزمام

فيا شقاءَ ابنِ الزبير! ما لقى؟ ... لقد أُصيبَ بالدهِّي الفيلق[1]

فتى من النوابغ المُرَّادِ ... إن همّ لم يُثنَ عن المرادِ

قد نضجت آراؤه غلاما ... ورُزق الهمةَ والكلاما

وكان في الشرع شراعَ الأمّهْ ... وفي الحديث مُستَقَى الأئمّه

فاق فلولا بخلُه وغدرُهُ ... فات مقاديرَ الملوك قدرُهُ

وما زال في الشام إلى أن راضها ... ضم قواها وشفى أمراضَها

فاجتمعتْ لذي دهاءٍ حُوّلي ... كعهدها بالأمويّ الأولِ

رمى بها مجموعة مُعدَّةْ ... إن النظامَ عَدَدٌ وعُدّهْ

فظفرتْ بفِرَق الخوارجِ ... من داخلٍ في طاعةٍ وخارِجِ

ولم تدعْ لابن الزبير جمْعا ... إلا أرها طاعةً وسمعا

بعد حروبٍ وائليةِ الحرَبْ ... لولا سُباتُ[2] الروم ضاعت العربْ

أحستِ الملةُ فيها بالغررْ[3] ... ورُمِيَ البيتُ العتيقُ بالشررْ

وطاح فيها مُصعبٌ كريما ... يحمي كليث الغابة الحريما

وضاق عبد الله عن عبد الملك ... ورأيِه الوضاءَ في الخطب الحلكْ

انصرف الكُرّارُ والكُماةُ ... وانحرف الأنصارُ والحماةُ

أسلمه الأهلون حتى ابناه ... وخذلتْ شِمالَه يمناه

فجاءَ أمّه، ومَن كأمِّه؟ ... لعلها تحمل بعضَ هَمَّهْ

والبيتُ، تحت قسْطلِ الحجّاجِ ... وخيلُه أواخذُ الفِجاجِ

فقال: ما تَريْنَ فالأمرُ لكِ ... للموت أمضى أم لعبد الملكِ؟

قالت: بنّي وَلدَ القوّامِ ... وابنَ العتيق القائم الصوّامِ

أنظرْ فإن كنتَ لدينٍ ثرتَ ... فلا تفارقْ ما إليه سِرتَ

أو كانت الدنيا قُصارَى همتكْ ... فبئس أنت، كم دمٍ بذمتك؟

إلحقْ بأحرارٍ مضوْا قد أحسنوا ... فالموتُ من ذلِّ الحياة أحسنُ

ولا تقلْ هنتُ بوهْن من معي فليس ذا فعْلَ الشريف الألمعي
ومُت كريما أو ذُقِ الهوانا وعبثَ الغِلمان من مرْوانا
أنت إلى الحقِّ دعوْتَ صحبَكا فاقضِ كما قضوْا عليه نَحبَكا
ولا تقلْ: إن متُّ مَثَّلوا بي وطافَ أهلُ الشام بالمصلوبِ
هيهات ما للسَّلخ بالشاة ألمْ ورُب جِذعٍ فيه للحق عَلَمْ
وعانقَتْه فأحسّتْ دِرعَا قالت: أضِقْتَ بالمَنون ذرعا؟
مثلَك في ثيابه المُشَمّره جاهد لا في الحلَق المسمّرهْ
لا تمضِ فيها وأرح منها الجسدْ وامض بلا درعٍ كما يمضي الأسدْ
فنزع النثرةَ عنه وانطلقْ في قلة يلقى العديدَ في الحلَقْ
فمات تحت المرهفات حرا لم يألُ خيَر الأمهات برّا

هوامش

(١) الفيلق: الرجل العظيم.
(٢) أي نومهم غفلتهم.
(٣) الغرر: الخطر.

موت إبراهيم الإمام والبيعة لأخيه السفاح وخلافته

الأمرُ آل أحسنَ المآلِ
بيُمنِ إبراهيمَ رأسِ الآلِ

فتى العفافِ والحجى والنائلِ
ومعدِنِ الأخلاقِ والفضائلِ

دعي القرى لأمره فلبّتِ
وحضنَ الدعوةَ حتى شبّتِ

ومات لا أقولُ في أثنائها
بل وهي عند مُنتهى بنائها

نالتْه في ناديه للقوم يدُ
وصِيدَ في واديه وهو الأصْيَدُ

ألْقِيَ في السجن فكان حُفْرتَهْ
أماته الله وأحيا أسرتَهْ

بينا به تَهامَسُ النُّعاةُ
إذ بأخيه هتف الدُّعاةُ

بويع في الكوفَة للسفّاحِ
في ثَبَج الدعوة والكفاحِ

نعى أخاه ونعى أميّهْ
وقام بالدولة هاشميّهْ

في جمعة مشهودةٍ هي المُنَى
هشّ إليها عرفاتُ ومِنَى

فكانتِ الكوفةُ مَبَزَغَ القمرْ
قد طلع السعدُ به على الزُّمَرْ

بُويعَ فيها النّفرُ الأعلامُ
ونال عُليا الدولِ الإسلامُ

قام أبو العباس بالإمامه
ابن جلا المُسوَّد العمامه

فتى تَضاءَلُ الفُتِيُّ حولهْ
داعٍ لمُلْكٍ داعمٌ لدولهْ

كالبدر في سمائه بل أجملُ
لو كان فوق الأرض بدرٌ يكملُ

قد رجع الأمرُ به للأربُعِ
واجتمع الأمر له في أربَعِ

إبنُ الغيوث لم يَعِدْ إلا صَدقْ
ولم يَجُدْ إلا استهلّ وغَدَقْ

ألينُ من صَمصامةٍ وأقطَعُ لا يعرفُ الرحمةَ حين يُقطَعُ[1]
قد كان بين الدولتين يومُ عــزّ بــه قــومٌ وذَلَّ قــومُ
الـتـقـتِ الأحـزابُ بـالأحـزابِ واقتتل الجمعان حول الزاب
نهرٌ جرى الأمرُ العظيمُ حولَهْ عُـبـور دولـةٍ ونـشْـأُ دولَـهْ
وكـان مـروان أتـمّ فـيـلـقـا وجندُ عبد الله أوْفَى في اللقا
فـأجـزل الـلـه مـن الإظـهـار والنصرُ لابن السادة والأطهارِ
ما غربتْ شمسُ نهار الباس حتى بدتْ شمسُ بني العباسِ
هـم أمّـلأوا كـيـوشـعَ الإدالـهْ والـنـصرَ قبل غيبة الغـزاله
فـكـانـت الـنـيـةُ ذات شـأنِ وكادت الشمس لهم تستأنى
تـصـرمت دولـة عبـدِ شـمـسِ ودبـرتْ أيـامُـهـم كـأمـسِ
بعبد شمسٍ فاز عبدُ المطلبْ لا كفءَ للغالب إلا من غُلِبْ
فمذ خلا الجوُّ لسيفِ هاشِم هبّ هبوب المستبدِّ الغاشِم
المستبيح في دخول البيتِ هـلاكَ حـيٍّ وانـتـهـاكَ مـيـت
فـهـتك الـقـبورَ وهـي حُـرمـهْ من مات فاترك للمميت جُرْمه[2]
وُمــيــتْ أمــيــةٌ بــســاطِ[3] أبدلها النِّطعَ من البِساطِ[4]
وكـلّ جُـرمٍ واقـعُ الـعـقـابِ ولـو عـلـى الأنسـال والأعـقـابِ
ثـم قـضـى مُـقـتـبِلَ الـشـبـابِ عـن دولـة مُـقـبـلـةِ الأسـبـابِ
فـفـقـدتْ بـه الـقـرى حـيـاهـا ومـات بـالأنـبـار مـن أحـيـاهـا

هوامش

(١) أي يعق وتقطع رحمه.
(٢) أي ذنبه لأن الميت لا يعاقبه إلا الله.
(٣) أي ذو سطو.
(٤) النطع: ما كان يفرش ليقتل عليه الناس.

أبو مسلم الخراساني الداعي للعباسيين

الأصلُ في كلِّ بنايةٍ حَجرْ　　وإنْ زهتْ بالشُّرُفات والحُجَر

معتمدُ الأركان والقواعدِ　　وسنَدُ العالي بهن الصاعدِ

فإن وقفتَ مُطرِىَ البناءِ　　فاعطِفْ على الأساسِ في الثناءِ

وهذه الدولَةُ قد دعا لها　　وقاد في ظهورها رِعالَها

أغرُّ من سوابق الإسلامِ　　فوارسِ اللقاءِ والكلامِ

اختلفوا في أصِلهِ وفصلِهِ　　والسيفُ يومَ النسب ابنُ نَصلِهِ

فقيل: حرٌّ عربيٌّ الوادي　　وقيل: عبدٌ من بني السوادِ

وقيل: كان يَدّعى العباسا　　ويرتدي لهاشم لباسا

خاض الخراسانيّ في العشرينا　　على بني أميّةَ العرينا

فلقيتْ دَعوتُه رواجا　　ودخلتْ فيها القرى أفواجا

وقوبلتْ في الفرس بالمُحبّذِ　　من كلِّ دهقانٍ وكلِّ موبذٍ[1]

لبخل مروانَ عليهم بالنَّعمْ　　وتركهم سُدًى كإهمال النَّعمْ

وقرَعَ الساقَ لها من العربْ　　من لا له في الأمويين أربْ

ربيعة انحازت إليها ويَمَنْ　　أظهرتا من َغَنٍ ما قد كمنْ

فكم جفاهما بنو مروانا　　واصطنعوا من مُضَرَ الأعوانا

وبالغوا في البِرِّ والقيامِ　　وشاطروها نِعَم الأيام

وهي لما يقترحون أجرى　　وهي على بني النبيّ أجرا

جاءَ أبو مسلم الخِراسِني　　أبدلها من رائقٍ بآسنِ

رُمُوا بماضي الحدِّ لا يمينُ[2] داهـيـةٍ فـي رأيـه كـمـيـن
تقتبسُ الشبّان من مَضائِه وتَنزِلُ الشِّيبُ على قضائِه
يَصيدُ بالصلاة والصِّلاتِ وقـنـصُ الـولاةَ بـالـولاةِ
يُعينُه قحطبةٌ ذو الباس أول قُـوادِ بـنـي الـعـبـاس
بخيلهم جاب البلادَ وفَرَى وقـام بـعـدَه ابـنُـه مُـظـفّـرا

هوامش

(١) أصلها موبذان وهو القائد الفارسي.
(٢) لا يكذب.

الدولة العباسية

سِلْكٌ لآلٍ من بني الأعمامِ … ومُلْكُ آلٍ من بني الغَامِ
بجِدّهم في السنة[١] استسقى عُمَرْ … هزّ الغمامَ بالغمام فانهمرْ
ودُولةُ الحق بدتْ للناسِ … بين رضى الْخَلْق والاستئناسِ
وعدُ النبيّ في الحياة عَمّهْ … الله من بعدهما أتمهْ[٢]
ولستَ تدري مَن بني أساسَها … أعجبُ، أم مَن شادها وساسها؟
أقبل يبنيها من الفتيانِ … عِصابةٌ مُحسنةُ البُنيانِ
قد نفروا للأمر في أوقاتهِ … والأمرُ يَستأنِسُ في ميقاتِه
وانتخبوا الأبطال للمجالِ … والخيرُ في تخيُّر الرجالِ
ونقدوا الآراءَ والسيوفا … فنَفَوْا الكلولَ[٣] والزيوفا
سلُّوا خراسانَ ونعم الماضي … في الأمر مستقبلِهِ والماضي
خفّتْ لداعيهم ولبّتْ الطلبْ … واعتصمَ المأمونُ فيها فَغَلَبْ
لأهلها فيهم هوى ونارُ[٤] … وفي مَهبِّ الريح تقوى النارُ
رموْا بها فجدلوا أمَيّهْ … وكلُّ سهمٍ وله رَميّهْ
بالشام صادوا الملكَ والإمامهْ … ما بال بازيهم غدا حمامهْ
حقيقةٌ ليس لها مُفنِّدُ … كل مُهنّد له مُهَنّدُ

هوامش

(١) السنة القحط.
(٢) إشارة إلى تبشير الرسول عليه السلام عمه العباس بالخلافة في بنيه.
(٣) الكلول التي لا تقطع.
(٤) نار الأولى الرأي.

أبو جعفر المنصور

استخلف المنصورَ في وصاتِه إن اختيار المرءِ من حَصاتِهِ
ابن أبيه وسراج بيتهِ الخلفاءُ لَمَحَاتُ زيتهِ
حَبرُ بني العباس، بحر العلم قطبُ رحى الحرب، مدار السِّلْم
فلم يكدْ بالأمر يستقلُّ حتى تلقَّى فتنةً تُسَلُّ
قد فرغ الأهلُ من الغريبِ واشتغل القريب بالقريبِ
ثار بعبد الله ثائرُ الحسدْ وزعم الغابَ أتى غيرَ الأسدْ
وأن مروانَ إليه سلَّما وأن يومَ الزماب يكفي سُلَّما
انقلب العمُّ فصار غَمَّا وفدح الأمرُ به وطمّا
جاءَ نصيبينَ وقد شقَّ العصا فيمن بغى الفتنةَ صيدًا وعصى
ما فلّ حدّهمْ عن المنصورِ سوى أبي مسلم الهصورِ
سلّ عليه سيفَه ورايَهْ فلم تقف لابن عليٍّ رايهْ
وهُزمَ الطاهرُ يوم النهرِ وعرف القاهرُ طعمَ القهرِ
ومن يحاول دولةً ومُلْكا يُلاقِ نُجحًا أو يُلاقِ هُلْكا
واستطرد الحَيْنُ بُنوةَ الحسنْ واجتمعوا فامتنعوا على الرسَنْ
وطلبوا الأمرَ وحاولوا المَدَى وبايعوا راشدَهم مُحمَّدا
وكان مقداما جريئا مِحَربا طاح على حدّ الظُّبا في يثربا
فثار إبراهيمُ للثاراتِ وأزعج المنصورَ بالغاراتِ
فوجئ والجيوشُ في الأطرافِ بنهضة الدهماءِ والأشرافِ

اضطرب الحجازُ والعراقُ وشغب الغواةُ والمُرّاقُ
فلم تَفُلَّ النائباتُ عزمَهْ ولم يَكِلّ عن لقاءِ الأزمَهْ
تدارك الشدةَ بالأشدا من كلِّ من لمثلها أعدَّا
وكان يستشيرُ في المصائبِ وهو أخو الرأي السديد الصائب
أمرٌ له كلاهما قد شمَّرا وجرّدا السيفَ له بأخمرا[1]
فكان بين هاشمٍ من حربِ ما كان بينها وبين حربِ[2]
وكان في أولها للطالب على قنا المنصور عزٌّ الغالبِ
لولا المقاديرُ القديرةُ اليدِ لأحرز السيّدُ مُلْكَ السّيدِ
كرّتْ عساكرُ الإمام كرّهْ على جنود الحسَنِيِّ مُرّهْ
عدتْه عن دعوته العوادي وأسعف الدهرُ أولى السدادِ
وطاب للشريف الاستشهادُ فيما يخال أنه جهادُ
فطاح لم ينزلْ عن الكُميْتِ وهكذا أنباءُ هذا البيتِ
وكثُر القتلى وراح الأسرَى على فوات الوَفَياتِ حَسْرَى
سيقوا إلى يزيدَ أو زيادِ لكن من القرابةِ الأسيادِ
فلم يذق كالحسنين البَلا ولا الحُسينيون يوم كربلا
مُنوا بقاسي القلب ليس يرحمُ وليس تثنيه عليهم رَحِم
لو طعمتْ في مُلكهِ أولادُه شفاهمو من طمع جلادُهُ
هذا أبو مسلم التّيّاهُ غرّتْه في دولتهم دنياهُ
فطال في أعراضهم لسانهْ لم يَقُمْ بمَنِّهِ إحسانُهْ
ونازع الآل جلال القدْرِ ونافستْ هِمّتُه في الصدرِ
دعواه في دعوتهم عريضَهْ لولاه ظلتْ شمسُها مريضهْ
وهو لفضل الطاهرين ناسِ وما لهم في الحب عند الناس
وما علوْا له من المُهمَّهْ وبذلوا من مدهشات الهمّهْ
وموت إبراهيم حتفَ فيهِ فِدًى فأمرهم وحبًّا فيهِ
فوغِرَ الوالي عليه صدرا يُظهر عطفًا ويُسِيرّ غدرا
وصاحبُ الدعوة ضافي الدعوى يرفلُ. فيها نخوةً وزَهوا
تطلبُه الدماءُ كل مَطلَبِ لا بدَّ للظالم من مُنقَلَبِ

فكم أدراها على المَنونِ ... وكم أراقها على الظنونِ

هذا الذي حمى أُميةَ الكرى ... كان أبو جعفرَ منه أنكرا

قد يقع الثعلبُ في الْحُبَالهْ ... وتتّقِي الفراشةُ الذبالهْ

أفنى الفضاءُ حيلةَ الْخِراسِي ... وعصفت رياحُه بالراسي[٣]

وساقَهُ الحَيْنُ إلى الإمامِ ... والنفس تستجر[٤] للحِمام

فجاءَه في موكِبٍ مشهودِ ... وفي مدارعٍ من العهود

أريدَ بالداعي الردى وما دَرَى ... وكلُّ غدَّارٍ مُلاقٍ أغدرا

فمُكِّنتْ منه سيوفُ الهندِ ... وظفر الفرندُ بالفرندِ

أصيبتِ الدولةُ في غنائها ... وسطق البَنّاءُ من بنائها

الخلفاءُ ولدُ المنصورِ ... وعصرُه الزاهي أبو العصورِ

إن استهلَّتْ بالدماءِ مُدَّتُهْ ... فما وقاها الهيج إلا شِدتُهْ

ومن يَقُمْ بمُلكِهِ الجديدِ ... يَقُدْه بالحرير والحديد

لا تَرجُ في الفتنة رِفْقَ الوالي ... قد يُدفع الْحُكَّامُ بالأحوالِ

انظرْ إلى أيامه النواضرِ ... وظِلِّها الوارف في الحواضرِ

عشرون في المُلْكِ رفَقْنَ أَمْنَا ... وفِضْنَ نعماءَ، وسِلْنَ يُمْنَا

خلافةٌ ثبّتها قواعدا ... ثم ترقَّى بالبناءِ صاعدا

أدرُّ من صوْب الغمام دخلا ... على أشد الخلفاءِ بُخلا

يخافُ في مالِ العباد الله ... ما تَبع الدنيا ولا تلاهى

للسلم آلاتٌ وللحرب أهَبْ ... جماعهن في الممالك الذهبْ

وحوّل المنصورُ مجرى العهدِ ... أخَّر عيسى وأقام المهدي

فكان في تقديمه الإصلاحُ ... وفي بنيه الخيرُ والفلاحُ

ولا تسلْ عن هِمَّةِ العقولِ ... ونهضةِ المعقول والمنقولِ

وكثرةِ الناقلِ والمُعرِّبِ ... عن حكمةِ الفُرسِ وعلم المَغرِبِ

واختطَّ بغدادَ على التسديدِ ... دارًا لمُلْكٍ يسِرٍ مَديدِ

كانت لأيام البهاليل سِمَةْ ... ومِهَرجَانَ مُلْكِهِم ومَوسِمَه

ينجمُ فيها النابغُ السعيدُ ... وينجب المقتبس البعيدُ

هوامش

(١) موضع كان على فراسخ من الكوفة.

(٢) حرب بني أمية.

(٣) الجبل.

(٤) تنقاد.

دولَة الفاطميّين

مَن جعل المغربَ مطلع ... وسخَّر البربر جندًا للهدى
الضحى وصرّف الأيامَ حتى ... ما كان في الأحلام أحلامَ الكرى
أحدثتْ وأظفر الصابر بالنُّجح ... هزيمة اليأْس ويا فوز الرجا!
فيا ونقّلَ الدولةَ في بيت الهدى ... فلم تزَلْ عن طُنُبِ إلا إلى
سبحانَه المُلْكُ إليه وله ... يؤتيه أو ينزِعُه ممن يشا
قام إمامٌ من بني فاطمةٍ ... خليفة ثم تلاه من تلا
ما عجبي لملكهم كيف بُنِى ... بل عجبي كيف تأخّر البنا
جدّهمو لا دين دون حُبِّهِ ... وأمُّهم بالأمهاتِ تُفتَدى
ومذ مضى مضطَدا والدُهم ... أصبح بالمضَطهد اهتم الملا
أجلَّهم عِلْيهُ كلِّ حِقبةٍ ... وخصَّهمْ فيها السوادُ بالهوى
والفرس والتركُ جميعا شِيعةٌ ... لهم يَروْن حُبَّهم رأس التقي
فشهِد الله لهم ما قصَّروا ... القتل صبرا تارة واللقا[1]
كم ثار منهم في القرون ثائرٌ ... بالأمويين وبالآل الرضا
هذا الحسين دمُه بكربلا ... روَّى الثرى لما جرى على ظما
واستشهد الأقمارُ أهلُ بيتِهِ ... يهوُون في الترب فرادى وثُنا
ابن زياد ويزيدُ بغيا ... والله والأيامُ حربُ من بغى
لولا يزيدُ بادئًا ما شربتْ ... مروانُ بالكأْس التي بها سقى
وثار للثارات زيدُ بن علي ... بن الحسين بن الوصيِّ المرتضى

يطلبُ بالحُجة حقَّ بيته   والحقُّ لا يطلبُ إلا بالقنا
فتى بلا رأيٍ ولا تجربةٍ   جرى عليه من هشامٍ ما جرى
اتخذ الكوفةَ درعا وقنا   والأعزلُ الأكشفُ مِنْ فيها احتمى
مَن تكْفِه الكوفةُ يعلَمْ أنها   لا نصرَ عند أهلها ولا غَنَا
سائلْ عليّا فهو ذو علمٍ بها   واستخبرِ الحسينَ تعلمِ النبا
فمات مقتولاً وطال صَلْبُهُ   وأُحرقتْ جثتُه بعد البلى
على أبي جعفرَ ثارتْ فتيةٌ   ما أنصفوا والله في شق العصا
هم أهلُ بيت الحسن الطاهر أو   من شبَّ من بيت الحسين ونما
أيطلبون الأمرَ والأمرُ لهم   قد قرَّ في بيت النبيِّ ورسا
يحمِلُ عنهم همَّهُ وغَمَّهُ   أبناءُ عمٍّ نُجُبٌ أولو نُهى
فليت شعري كان ذا عن حسَدٍ   أم بُخله[٢] بلَّغهم إلى القلى؟
محمدٌ رأسهمو في يثربٍ   والقومُ في الأطرافُ يُذكون[٣] القُرى
وأمرُ إبراهيمَ في البصرة قد   زاد وكوفانُ كمِرجَلٍ غلا
مُلمّةٌ لو لم تصادفْ هِمّةً   لأودت الدولةُ في شرْخ الصبا
قام إليها مَلِكٌ مُشمِّر   في النائبات غيرُ خَوّار القُوى
ساق إلى الدار خميسًا حازها   وقتل المهديِّ عند الملتقَى
وكان بين جيشه بأخمرا   وبين إبراهيم يومٌ ذو لظى
لم يصدُقِ ابنَ الحَسَنِ النصرُ به   أصبح ضاحكًا وأمسى قد بكى
مات بسهمٍ عاشرٍ لم يَرمِهِ   رامٍ ولكنّ القضاءَ قد رمى
فلا تسلْ عن جيشه أين مضى   ولا تسلْ عن بيته ماذا التقى
هاربُهم ليس يرى وجهَ الثرى   ولا يرى مسجونُهمْ غيرَ الدُّجى
وما خلا خليفةٌ مُسوّدُ   من طالِبِّي يطلبُ الأمرَ سُدَى
يُقتَلُ، أو يزجُّ في السجن به   أو يتوارى أو يُبيده الفلا
يرجون بالزهد قيامَ أمرهمْ   والزهدُ من بعد أبيهم قد عفا
لو دامتِ الدنيا على نُبوةٍ   لكان للناس عن الأُخرى غنى
تخلَّقوا نبذَ المشورات فلا   ينزل منهم أحدٌ عما يرى
من لا يرى بغيره وإن رأى   بعيني الزرقاءَ[٤] كان ذا عمى

وقـلـمـا تـخـيـروا رِجـالـهـمْ　　　إن الرجال كالفصوص تُنتقَى
قد خالف المأمونُ أهل بيتِه　　　حبًّا بأبناءِ الوصيِّ وحِبا[٥]
من أجلهم نضا السوادَ[٦] ساعة　　　فقال قومٌ: خلع الوالي الحيا
ولـو سَـهَـا قـوادُه وآلُـه　　　لقلَّدَ العهدَ عليّ بن الرضا
فما خلتْ دولته من ثائرٍ　　　قد قطع الطرقَ وعاث في الحمى
جيءَ بشيخٍ عَلويٍّ زاهدٍ　　　فقبِل البيعة بعد ما أبى
تأمرُ باسمه وتنهى فِتيةٌ　　　لحيتُه بينهمُ لمن لَها
من أهل بيته ولكن فزعت　　　من جَوْرهم وفِسقهم أمُّ القرى
ورُبّ غادٍ مُنى الحجُّ به　　　وخُوّف الخيف ولم يأمن مِنى
وكان زيدُ النار في أيامهم　　　والآخرُ الجزّار عاث وعتا
فظهر الجندُ عليهم وانتهى　　　وتائبهمْ إلى الإمام فعفا
فهؤلاءِ لم يشيّن غيرُهمْ　　　سمْعَ بنى حَيْدَرةٍ ولا زرى
من حظِّهمْ أنْ صادفوا خليفةً　　　في قلبه لهم وللعفو هوى
ولم تَزَلْ تمضي القرونُ بالذي　　　أمضى مُصَرِّمُ القرون وقضى
حتى حبا الله بني فاطمةِ　　　ما مات دونَه الأبوّة العُلا
ما طلهم دهرهمو بحقِّهمْ　　　حتى إذا ما قيل: لن يفي، وَفَى
ما لأوانٍ لم يئنْ مُقدِّمٌ　　　ولا يؤخِّر الأوان إن أتى
سار إلى المغربِ من شِيعتهم　　　فتى غزيرُ الفضل موفورُ الحجى
تشَّيعتْ[٧] من قبله آباؤهُ　　　فرضع النية فيهم واغتذى
من أهل صنعاءَ ودون عزمه　　　ما صنعتْ من كلِّ ماضٍ يُنتَضى
وأين داعس بسيوف قومهِ　　　وآخرٌ أعزلُ شطَّتْه النوى
يُصْبِحُ مطلوبًا ويُمسى طالبًا　　　ما قعدتْ طُلابُه ولا ونى
يُبشِّرُ الناسَ بهادٍ جاءَهم　　　وأن مَهْدِيَّ الزمان قد أتى
حتى تملَّك العقول سحرُهُ　　　إن البيانَ نفثاتٌ ورُقَى
ولم يزل مُتَّبَعًا حيث دعا　　　للفاطميِّ ظافرًا حيث غزا
مهما رمى بخيلهِ ورَجْلِهِ　　　في بلدٍ أذعن، أو حصنٍ عنا
فلم يدعْ من عربٍ وبربرٍ　　　ولم يغادرْ من صحارَى ورُبى

أجلى بني الأغلَبِ عن أفريقيا   عن الجنانِ والقصورِ والدُّمى

لابس أقواما، تحلَّى بالتقى   بينهمو وبالفضيلة ارتدى

قدوةُ أهل الدين إلا أنه   في أدب الدنيا المثالُ المُحتذى

ثم رمى المَغربَ فاهتز له   وحثَّ نحو سجلماسةَ الخُطا

قاتَلها نهارَه حتى بدا   لأهلها الليل فلاذوا بالنجا

فجاءَ فاستخرج من سجونها   تبرَ خلالٍ كان في الترب لَقَا[٨]

أتى به العسكرَ يمشي خاشعًا   مكفكفا[٩] من السرور ما جرى

وقال: يا قوم اتبعوا واليَكم   هذا الخليفة ابنُ بنت المصطَفى

وترك المُلك له من فوره   وسار في ركابه فيمن مشى

انظرْ إلى النيّةِ ما تأتي به   والدين ما وراءَه من الوفا

ولا تقلْ لا خيرَ في الناس فكم   في الناس من خيرٍ على طُولِ المدَى

اضطلع المَهدِيُّ بالأمر فما   قصرّ في أمر العباد عن هدى

وحمل الناسَ على الدين وما   يأمُر من رشدٍ وينهى عن عمى

انتظمتْ دولتُه أفريقيا   وارفةَ الظلِّ خصيبةَ الذَّرا

وأصبحت مصرُ، وأمرُ فتحها   أقصى وأعصى ما تمنَّى واشتهى

كم ساق من جيش إليها فثنى   عسكرَه القحطُ وردّه الوبا

وفتنة من الغيوب أومضتْ   قلَّبتِ المغربَ في جَمْرِ الغضا

صاحبُها أبو يزيدٍ فاسقٌ   يُريد أمرَ الناس محلولَ العُرا

وكل مالٍ أو دمٍ أو حُرَّةٍ   لناهبٍ وسافكٍ ومَن سبى

يا حبذا المذهبُ لا يرفضه   من قعد الكسْبُ به ومَن غوى

مات عُبيْدُ الله في دُخانها   وتعِبَ القائمُ بالنار صِلَى

فُضَّتْ ثغورٌ وخلتْ حواضِرُ   وأمرَ الطاغي عليها ونهى

بالمالِ والزرعِ وبالأنفسِ ما   أنسى الوباءَ والذئابَ والدَّبَا[١٠]

ثم قضى محمدٌ بغمِّهِ   والشرُّ باقٍ والبلاءُ ما انقضى

فلم تنلْ أبا يزيدٍ خيلُه   ولا قنا له الكنانةَ القنا

ارتدّ عن مصرَ هزيما جندُه   يشكو من الإخشيدِ مُرَّ المشتَكى

واستقبل المنصورُ أمرًا بدَدًا   ودولة رثَّتْ وسلطانًا وهي

نارُ الزَّناتيِّ مشت على القرى وغيّرَ السيفُ الديارَ ومحا
فكان في هوج الخطوب صخرةً وفي طريق السيلِ شَمَّاءَ الرُّبا
مكافحًا مقاتلا بنفسهِ إن خاب لم يرجعْ، وإن فاز مضى
لم يألُ صاحبَ[11] الحمار مَطلبا في السهل والوعر وسيرًا وسُرَى
فأنقذَ المُدْن وخلَّص القرى وطهَّرَ الأرضَ من الذي طغى
وترك المُلْكَ سلامً لابنهِ والأمرَ صفوًا والأقاليم رضى
فتى كما شاءَت معالي بيتِه عِلمًا وآدابًا وبأسًا ونَدَى
تقيّل الأقيالَ من آبائهِ وزِيدَ إقبالَ الجدود والخُطا
قد حسّنَ المُلْكَ المُعِزُّ وغدتْ أيامُه للدين والدنيا حُلَى
أحاط بالمغرب من أطرافهِ ودان منه من دنا وما قصا
جاءَت من البحر المحيط خيلُهُ تحمل منه الصيْد حيًّا ذا طرا
حتى ربتْ وكَثُرتْ جموعُه ووفر المالُ لديه ونما
فاستحوذتْ مصرُ على فؤاده وقبلَه كم تيّمتْ له أبا
فاختار للفتح فتى مُختبَرًا مَعدِنُه، فكان جوهرُ الفتى
سيَّره في جحفلٍ مُستكمِلٍ للزاد والعُدّةِ والمال الروى[12]
فوجد الدار خلتْ واستهدفتْ بموت كافور الذي كان وقَى
فلا أبو المِسْكِ بها يمنعُها ولا بنو العباسِ يحمون الحمى
قد هيئت فتحًا له لم يدّعِمْ على دم الفتيان أو دمع الأسى
فإن يفتْ جوهرَ يومُ وقعةٍ فكم له يومًا بمصر يُرتضى
اعتدل الأمرُ على مقدمهِ وكان ركنُ المُلكِ ميلاً فاستوى
وجرتِ الأحكامُ مَجرَى عَدْلها وعرَف الناسُ الأمانَ والغنى
كم أثرٍ لجوهرٍ نفيسُهُ إلى المُعزِّ ذي المآثر اعتزى
الجامعُ الأزهرُ باقٍ عامِرٌ وهذه القاهرةُ التي بنى
وقل إذا ذكرتَ قصريْهِ بها على السدير والخوَرْنقِ العفا
ودان أعلى النيل والنوبُ به للفاطميين وقدَّموا الجزى[13]
وخضع الشامُ ومن حِيالَهُ من آل حَمْدانَ فوارسِ اللقا
غلا دمشق اغتُصبتْ ولم تزلْ دمشقُ للشيِّعةِ تُضمرُ القِلى

وأتـتِ الـدارُ[١٤] بـنـي فـاطـمـةٍ — وانـتـقـلَ الـبـيـت إلـيـهـمْ وسـعـى
فـصـارت الـخـطـبـةُ فـيـهـمـا لـهـمْ — والـذكـرُ فـي طُـهْـرِ الـبـقـاعِ والـدُّعـا
حـتـى إذا الـمـلـكُ بـدا اتـسـاقُـهُ — ونـظَـمَ الـسـعـدُ لـجـوهـرَ الـمُـنَـى
أتـى الـمـعـزُّ مـصـرَ فـي مـواكـبٍ — بـاهـرة الـعِـزِّ تـكـاثـرُ الـضُّـحَـى
واسـتـقـبـل الـقـصـران يـومـا، مـثـلُـه — مـا سـمـع الـوادي بـه ولا رأَى
خـزائـنُ الـمَـغـربِ فـي رِكـابِـهِ — تـبـاركـتْ خـزائـنُ الـلـه الـمِـلا[١٥]
فـاجـتـمـع الـنـيـلُ عـلـى مُـشـبـهِـهِ — وغـمَـر الـنـاسَ سـخـاءً ورخـا
وابـنُ رسـول الـلـه أنـدى راحـةً — وجـودُه إن جَـرَح الـنـيـلُ أسـا
الأرض فـي أكـنـاف هـذا أجـدبـتْ — وذا أزاح الـجـدبَ عـنـهـا وكـفـى
ولـم يـزلْ أبـو تـمـيـم يـشـتـهـي — بـغـدادَ والأقـدارُ دون مـا اشـتـهـى
حـتـى قـضـى عـنـد مـدى آمـالـه — لـو تـعـرفُ الآمـالُ بـالـنـفـس مـدى
انـتـقـل الـمُـلـكُ فـكـانـت نُـقْـلَـةً — مـن ذِروة الـعـزِّ إلـى أوْج الـعُـلا
جـرى نِـزارٌ كَـمَـعـدٍّ لـلـمـدى — كـمـا جـرت عـلـى الـعُـصـيَّـةِ الـعـصـا
إن يـكُ فـي مِـصـرِ (الـعـزيـزَ)[١٦] إنَّـه — مـن الـمـحـيـط مُـلـكُـه إلـى سَـبَـا
الـمُـسـرجُ الـخـيـلَ نُـضـارًا خـالـصًـا — والـمُـنـعِـلُ الـخـيـلَ يـواقـيـت الـوغـى
لـم يـخـلُ مـن جـدٍّ بـهـا أو لَـعـبٍ — مـن الـمـيـاديـن إلـى حَـرِّ الـرحـى
مُـلْـكٌ جـرى الـدهـرُ بـه زاهـوًا ومـا — أقــصــرَه مُــلاوةً إذا رهــا[١٧]
مـضـى كـأيـام الـصِّـبَـا نـهـارهُ — وكـلـيـالـي الـوصـل لـيـلُـه انـقـضـى
كـان الـعـزيـزُ سـدّة الـفـضـل الـتـي — انـقـلـب الـراجـون مـنـهـا بـالـحِـبَـى
لآل عـيـسـى مِـن نَـدَى راحـتـه — وآل مـوسـى قـبـسٌ ومُـنـتـشَـى
وكـان مـأمـونَ بـنـي فـاطـمـةٍ — كـم كـظـم الـغـيـظ، وأغـضـى، وعـفـا!
أوْدى فـغـاب الـرفـقُ واخـتـفـى الـنـدى — وحُـجِـبَ الـحِـلْـمُ وغُـيِّـب الـذكـا
وحـكـم الـحـاكِـمُ مـصـرَ، ويـحَـهـا! — قـد لـقـيَـتْ مـن حُـكـمِـه جَـهـدَ الـبَـلا
أتـعـبَـهـا مُـخـتـلَـطٌ مـخـتَـبَـلٌ — يـهـدِمُ إن ثـار ويـبـنـى إن هَـدَا
ولـم تـزلْ مـن حَـدَثٍ مُـسَـيَّـرٍ — إلـى فـئـيـل الـعـزم واهـنِ الـمَـضَـا
حـتـى خـبـا ضـيـاءُ ذاك الـمـنـتـدَى — وعَـطِـلَ الـقـصـران مـن ذاك الـسـنـا
عـفـا بـنـو أيـوبَ رسـمَ مُـلْـكِـهـم — وغـادروا الـسـلـطـان طـامِـسَ الـصـدى

وجمعوا الناسَ على خليفةٍ من وَلَدِ العباسِ لا أمرَ ولا
سبحان من في يده المُلْكُ ومَنْ ليس بجارٍ فيه إلا ما قضى
فيا جزى الله بنى فاطمةٍ عن مصرَ خيرَ ما أثاب وجزى
وأخذ الله لهمْ من حاسدٍ في النسب الطاهر قال ولغا
خلائفُ النيل إليهم يُنتمَى إذا الفُراتُ لبنى الساقي[18] انتمى
تلك أياديهمْ على لِبّاتِهِ مفصلات بالثناءِ تُجتلَى
كم مُدُنٍ بنَوْا ودورٍ شيَّدوا للصالحات هاهنا وهاهنا
هم رفعوا الإصلاح مصباحًا من مُصلحٍ إلا بنورهم مشى
فما والكرمُ المصريُّ مما بمصرَ من بِرٍّ وسنُّوا من قِرَى
رسموا وكلُّ نَيْروزٍ بمصرٍ رائعٍ أو مهرَجانٍ ذائعٍ همُ الأُلَى[19]
همْ مزّقوا دروعهم براحِهم وكسروا بها الرماحَ والظُّبي
لا العَربَ استبقَوْا وهم قومهمو ولا رعوْا للمغربيّينَ الوَلا
قد ملَّكوا الأبعدَ أمرَ بيتِهمْ وحكَّموه في العشائر الدُّنى
وأنزلوا السُّنّةَ عن رُتبتها ورفعوا شِيعتَهم ومَن غلا
وصيَّروا المُلكَ إلى صبيانهم فوجد الفرصة من له صَبا
ازداد بغيُ الوزراء بينهم وأصبحوا هُم الملوكَ في الملا
خليفةُ الرحمنِ في زاويةٍ من الخمول، والوزيرُ ابنُ جلا

هوامش

(١) تعرضوا للقتل صبرا أي في الحبوس وللموت تحت ظلال السيف.
(٢) أي بخل المنصور.
(٣) يهيجونها.
(٤) زرقاء اليمامة يضرب بها المثل في حدة الصبر.
(٥) الحباء: العطاء.
(٦) لباس بني العباس وشعارهم.
(٧) تظاهر آباؤه بالدعوة الفاطمية.
(٨) مطروحًا.

(٩) أي مكفكفا دمع الفرح.
(١٠) الجراد.
(١١) لقب الثائر الزناتي.
(١٢) الكثير.
(١٣) جمع جزية.
(١٤) الدار المدينة دار الرسول.
(١٥) الملاء.
(١٦) العزيز وارث المعز.
(١٧) لان وطاب.
(١٨) الساقي: العباس.
(١٩) أي هم الذين كانوا الأصل في إيجاده.